# يوميات رامبرانت

ترجمة : ياسين طه حافظ






# يوميات رامبرانت

# 1661

ترجمة : ياسين طه حافظ






# يوميات رامبرانت





Author: **Alan Passes** | المؤلف: آلن باسز

Drawings: **Oscar Grillo** | رسوم: اوسكار غريلو

Title: **The Private Diary of Rembrandt** | عنوان الكتاب: يوميات رامبرانت

Translator: **Taha Yassin Hafedh** | ترجمة: ياسين طه حافظ

cover designed by: **Majed Al Majedy** | تصميم الغلاف: ماجد الماجدي

P.C.: **Al-Mada** | الناشر: دار المدى

First | الطبعة







141
com

+ 961 175 2616
+ 961 175 2617
بيروت: الحمرا- شارع ليون- بناية منصور- الطابق الاول
info@daralmada.com

+ 963 11 232 2276
+ 963 11 232 2275
+ 963 11 232 2289
دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار
al-madahouse@net.sy
ص.ب: 8272

❖ آه، أيــة احتفــالات، أي متَــعٍ للنفـس تلــك التي تلـوح على شيخوخته، على فمه الادرد وفي صورة ذلك الاسد العجوز الذي هو رامبرانت، والقبعة القطنية على راسه، وريشة الرسم بيده!

**فان كوخ–رسالة إلى اميلي برنارد**

❖ بـين اكثر اللمســات الجميلة لرامبرانت، هي تلــك التي تعطي انطباعا بانها صنعت من قطعة خشب أو رأس مسمار. ايمكنك القول بعــد هذا بان رامبرانت يجهل تجارته؟ علــى العكس تماما، انه يمتلكها تمامــا ويعرف قيمة العمل اليــدوي، من دون ان يقحم ذلك بين افكار الفنان وتنفيذها. لذا، فالادوات التي صنع منها ستوديو نقّاشٍ حديث جعلتْ ورشته تبدو مثل عيادة طبيب اسنان.

**بيير اوكست رينوار**

❖ هــذا ســؤال قابــل للنقاش، هل عــرف رامبرانــت اعمال شكسبير؟ لكن ليست هناك أي علاقة روحية بالشاعر الانجليزي الذي تــوفي حين كان رامبرانت في العاشرة من عمره. لا فنان قبل رامبرانت

بحث في الروح الانساني وفهمها بهذه الصورة المؤثرة واظهر حميمية التماس بها مثلما فعل شكسبير قبله.

لكن مــاذا وراء اختلاف روح العصر؟ شكســبير تماما مثل بروغل يــرى الناس وهــم على المسرح. هــو يقود مصــائرهم وافعالهم. وهو يحــدد، مثــل- فيلاســكويز- ردود افعالهم. لكنه، كمــا يبدو، يظل بعيدا لا يكشف عن وجهه. يترك القدر يجري على رسله. القدر يفرز الانسان الصغير بينما الابواق تنطلق والحياة تستمر، تلك الحياة عديمة الرحمة التي لا تعرف العطف، والتي هو هذا مسارها. لا مسيحية في اعمال شكسبير.

**جي نوتل وزن ١٩٥٦**
**G. KNUTTEL WZN. 1956**

❖ في انكلــترا. الحــرب الاولى. انا مفلــس وتعيس. زوجتي، التي كانت اصــغر مني سنا واكثر شجاعة، قالت: نذهب إلى متحف. نســتريح. كان انــذاك في كل العالم دمار. في لنــدن، في الامكنة التي تتساقط عليها القنابل- يبدو الامر قليل الاهمية- فنحن نسمع في كل يــوم تدمر مدينة. دمار. هــلاك. خراب عالم اكثر فقرا واكثر حزنا. ها هو الاكثر مرارة.

نظرت إلى لوحة رامبرانت الاخيرة عن نفســه. حجيمية ومدمّرة. مرعبة جدا وبلا امل، ومرســومة بروعة كبــيرة. جاءتني هذه الافكار تلــك اللحظــة وفكرتُ ان اكون قــادرا على النظر في مــرآة إلى نفسٍ

تتلاشـى. لا ترى شـيئا وترى نفسها. هو رسَـمَ نفسه مثل **Neant**. الانسـان لا شـيء! اية معجـزة واية صـورة! في تلـك اللوحة رايت شجاعة وشباباً جديداً. قلت هو رامبرانت المقدس حقا.

انا مدين بحياتي للفنانين هولاء!

**اوسكار كوكوشتا**

**OSKAR KOKOSCHTA**

❖ رامبرانـت، لم يكـن يوءمن بالخلود. ربما حضر له كأمرٍ ديني، لكنـه لم يصل عنده حد يقينيات الكائن البشري. و لم يكن عنده فاعلاً وموجِّهـاً. وهذا كان سبب اكتئابه. لكنه أيضـاً، لم يستطع ابعاده عن حياة الانسان المتفوق فيه.

لهذا كانت استمراريته متجاوزا ما هو ادني. هو بقي سجينَ احلامه الكبيرة وسجين فنائه وظمئه. جسـد متنافر. لذا صار المكان والزمان عنـده بُعدين لخلية جسدية. لم يكفّ عن قياس الفرح المر بالاضطهاد، وكما لو ان الحرمان من الابدي لم يكن الا وعياً موءسفا اكثر بنهايتنا.

**مارسيل بريون ١٩٤٦**
**MARCEL BRION**

❖ رامبرانت صور نفسه بوضوح، في الرسم الزيتي وفي النقش

على المعـادن وفي التخطيطات، ما يقارب المائة مرة. وفي كل مرة من هـذه المرات نتعلـم اكثر عن رامبرانـت. إلى حد ما، حقّـقَ رامبرانت متطلبات يونغ وعرضـ الشخصية في رسومه كظاهرة متطورة. تقنياً، كانـت سمتُه التقـدم بحذق متزايد في مضمـون اللوحة. تبدو النفس في رسومـه تخترق القنـاع المرسوم وتجعـل منه تسجيـلا مهتزا الحياة الفنـان الداخلية. لكن رامبرانت كان يشعـر بوضوح ان هذه الدرجة مـن الكشف ليست كافية وان الشخصية تتحطم تدريجيا تحت ضغط الواقع و الوجه يفقد نعومته وتناسقه وتماسكه.

**هربرت ريد 1955**

❖ قـد نجـد يوما ان رامبرانـت الرسام هو اعظـم من روفائيل. أُدوّنُ هـذا الكفر الذي سيجعـل شَعَر المدرسين يقـفُ طويلا قبل ان يهطل إلى أي من الجهتين.

**ديلكروا (اوائل القرن التاسع عشر)**

❖ في القرن السادس عشر، كل اشكالات الفن وجدتْ حلَّها: كمالات الرسـم، جاذبيته، والتكوينات، عنـد روفائيل. واشكالات الضـوء والظـل عند كوريجيـو وتيتيان وباولو فرونس ثـم جاء روبنز الـذي نسي تقاليـد اللطف والبساطـة وبعبقريته اعـاد صناعة المثال. جـاء هذا من خـلال طبيعته هو نفســه وفرضه بقوة التاثـير وصدقه.

لقد اوصل التعبير إلى حـدوده القصوى. فهل وجد رامبرانت هذا في غموض الحلم وعلاقته بالحياة؟

**يوجين ديلكروا**
**EUGENE DELACROIT 1947**

❖... طبعـا انت تستطيع قول ذلـك اذا رسمت شيئا... فانت لا ترسـم الشيء وحده ولكـن نفسك معه، تماما كما تحـاول ان تنحت الشيء لان الرسم الفاعل ذو طبيعة مزدوجة، وفيه ثنائية.

فانـا مثلا، اذا نظـرت الى احد رسوم رامبرانـت، اشعر كما لو اني اعرف عن رامبرانت اكثر مما عن الموديل الذي يرسمه...

**فرانسز باكون**
**FRANCIS BACON**





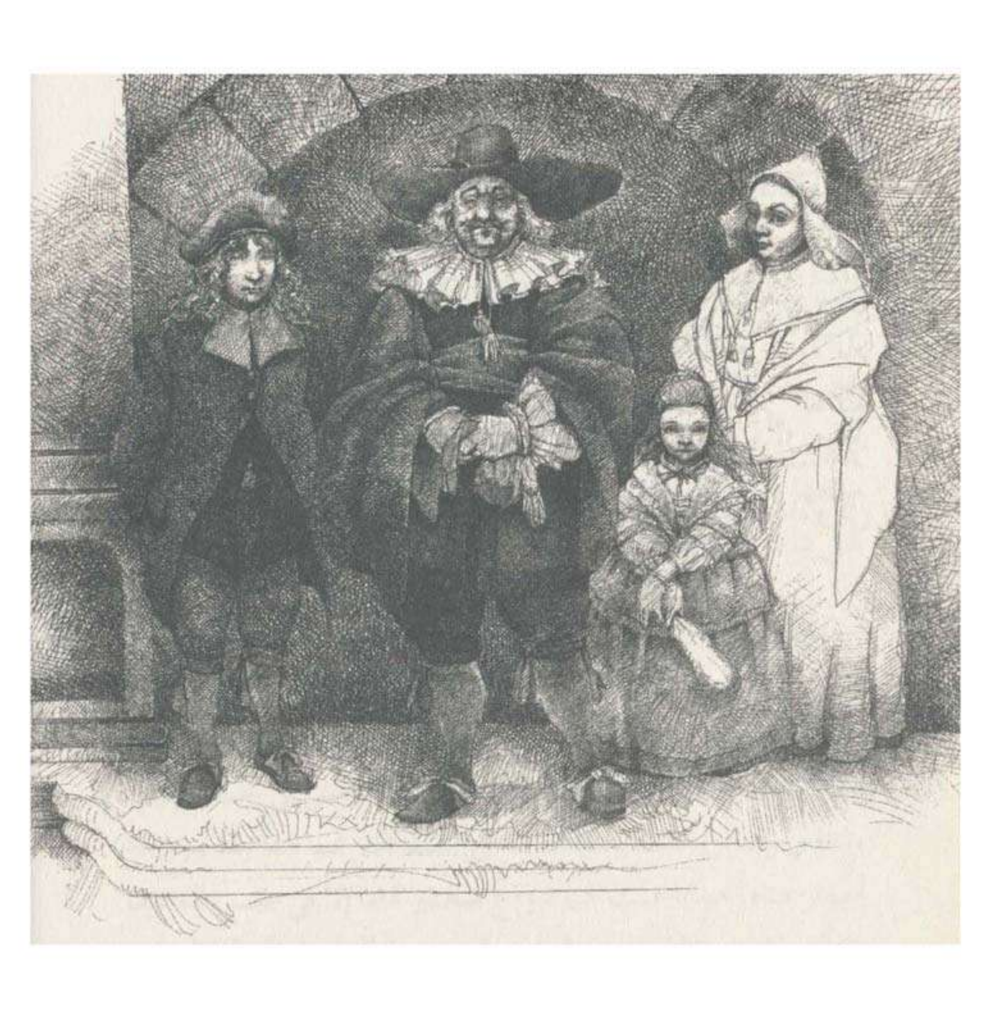
## امستردام- الاول من كانون الثاني ١٦٦١

وهكـذا، امامي سنة اخـرى جديدة. من يدري مـا ستأتي به هذه السنـة لي ولمن أُحب؟ قبل ان ابتدىء هذه الايام التي لم تُكْتَب بعد و لم تُرسَـم، أظن مفيداً أن ألتفـت الى وراء لأرى كم ابتعـدت الآن. أولاً دعنـي اعترف بأني قد كبرت. وأنـا وإن كنت أشعر بهذا في جسدي، فأنـا ما زلت بعيداً عن السبعين. وأنا أحس بذلك أكثر في روحي التي نالت ضربات كثيرة جارحة (والتي كنا فيها الاكثر مرارة واكثر متاعب على هذه الارض). مع ذلك ما ازال ارتشف بقوة عصائر هذه الحياة. لكـن الألم اشد في اعماق النفسـ، حيث الينابيع البعيـدة، تلك التي مياهها هـي الأصفى. عواطفي على السطح تبـدو اقل كثيراً من تلك التي داخل الروح.

يطيب لي هذا البيت قرب القناة، لم يمر عليَّ فيه وقت طويل. اشعر انـه آخر حضـن في حياتي، اعيش فيـه مع امرأتي الطيبـة هندريكشة ستوفلـز وابنتنا المحبوبـة كورنيليا وايضا تيتوسـ، ولدي من زوجتي الحبيبة ساسكيا، انعم الله على روحها بالراحة. نعيش في حب حميم. ولـدي وهندريكشـة يسلكان كأخ واخت اكثر ممـا هما ولد وزوجة أب ترعـاه. هما اخـت كبيرة واخ صغـير تماماً إلا في عينـي القانون والكنيسة. هو الان يقارب العشرين وهي ما تزال في اوائل الثلاثينيات مـع الكثير من مظاهر المرأة الشابـة. هي ما تزال طلقةٌ رقيقة عذبة مثل خوخـة ناضجـة، ولكن قوية مثـل عِجْلة، فتاة ريفية حقـاً. اما كيف يعاملونني، فلا ارغب باكثر من ذاك اللطف ولا بافضل منهما. وان لم

تكن ظروفنا سهلة كما كانت (كيف انسى اني كنت الأكثر غنى وبحثاً عــن الروح الفنــان في هولندا كلها؟ شكراً لموهبتــي وأسلوبي فهما لم ينقصا أبــداً بالرغم من الدائنين القساة. لقــد أرادت مهارتي وإرادتي إنجــاز شيء فمضتا بعيدا حتى نهاية نفسي لانضاجه. كوفيء عملي في هذه الازمنة الفقيرة. فله اقدم شكري.

مهمــا يكن لن اتوق الى الماضي... وإن كنــت كثيراً ما أفكر فيه.. فأنــا أتدفّــأ بوهجه مثل كلب عجــوز يستريح قريباً مــن النار، والذي تنتابه غمرات من أنّــات ونشيج ليهزه من بعد حلم غامض بديع ينبثق مــن شعل اللهيب حوله والتواءات الدخــان القاتم. ومثله في نومه انام وتجــري ذاكرتي في ممّرات استذكار البهجة بينما تحك اصابعي الممتلئة اسطح الاشياء بفرشاة الاصباغ، بمزّاجه الالوان او بسكين الحكّ: آملاً بالوصــول الى روح الانسان وبعدهــا الى قبس من نور الله. فأنا، وكل هذا يدور في رأسي، لستُ نائماً.



## ١٢ كانون الثاني

استيقظت هذا الصباح. باردة جدا. شعرت بميل للعودة للنوم وسحب الاغطية على رأسي. الضوء الاحمر، وانت عيناك نصف مطبقتين تحت البطانيتين، دفء وافر. ذكّرني ذلك براحة كفِ امي شابةً. جد ناعمة هي.

لم ابق في الفراش. فلدي الكثير لانجزه.

هندريكشة قد اوقدت النار وتناولتُ حليبا ساخنا مع قطعةٍ من خبز الامس. كم احب ان يطفو الخبز على الحليب! اعطيت القطة بعضاً منه. لعقت اصابعي تشكرني. تيتوس، ولدي، لم اعامله بهذا اللطف. آلمني ذلك. لكنني رأيته يبتسم وادركت انه يضحك مني. صفعني على قفاي وضحك وقبل انفي، هو يحب دائما ان يلمسه ويلعب به مذ كان طفلا. هو يدعوني، لما افعله، بالاحمق. ولدٌ طيبٌ هو!



## الاحد ١٧ كانون الثاني

كـم فخـورون نحـن الهولنديين. وكـم نتباهـى باستقلالنا وسط "المقاطعـات المتحدة". وكـم نعتقد باننا نعتمد علـى انفسنا واننا لا ننحنـي الا لله، لا لاحـدٍ سـواه. لا للانكليـز ولا للفرنسيين ولا لاي الاساطيل.

لقـد قاتلنا والقينـا انفسنا عند اقـدام الامبريالية الاسبانيـة. عانينا واعطينا شهداء ثم خضعنا لنَيْر الدين في روما. لماذا نحن، والحمد لله، ليس لنا حتى ملك، بل جمهورية في بحر من الملكيات؟

انـا اؤمـن بالحريـة ودائما مـا انالها. فما الـذي اتلقّـاه منهم؟ ليَ يقينياتـي، مخـاوفي واحتياجاتـي... ليَ جُبْني وكسلـي ورخاوة هذا اللحـم البشري علي... ليَ تبجّحاتي العاليـة وتذمراتي وتطرفاتي وما ازال بعواطفي واحلامي وفورات احاسيسي، التي اثور ضدها احيانا، واحيانا استسلم لها... نعم، انا هكذا نعم!

السيـد الوحيد الذي احمده هو عملي. ساخدمه واجهد من اجله حتى اسقط. لن اطلب راحةً لاني ما ازال حتى الان لا اشعر باني اعمل جيداً جيدا كما اريد!

## ٢٣ كانون الثاني

باردةٌ جدا.



## ٢٨ كانون الثاني

أكـبر شـيء مدهش. الجميـع ذهبـوا الى الفراش، شـيء ليس في الحسبان، هـذا الشيء سحبنـي الى الغرفة حيث عُلّـقَ عملي الأخير. كان مكتمـلاً معروضاً، وإلا لكان مكدسـاً قبالة الجدار ليراه ويشتريه هــ و ت H. & T (الذين يجب أن اشيد بتعاملهم في هذه المهنة واقدم لهـم الثناء. ولكي ارى ثمرات عملي افضل. اوقدت المصباح البدوي فتراجعـت الظلال، قفزتْ الى وراء مـن كل المنطقة القريبة وتوهجت الشعلـة بهيجـة، فانسحبت بعد اعـادة الزجاجة عليهـا. ومن نشوة تركت بصري واحاسيسي ينعمـان بمائدة ذلك المشهد. ثم رأيت شاباً يقف هنـاك. كان ينظر لي بعينين واسعتين ومتقدتـين. بادرته بالتحية وسألتـه إن كان يريد شـراء واحدة من لوحاتـي. لم يجب و لم يتحرك ولكنـه أسرَني بنظرتـه الثابتة. لم أكن خائفاً. سألتـه إن كان جائعاً ظاناً انـه شحاذ بائس يطلب مـلاذ ليلة في غرفتـي، ولأن جسده كان أقل إضـاءة من وجهه، لم اميّز إن كان مايكسوه خرَقاً أو حريرا. قال: كلا (هذه اول مرة يتكلم فيها وفي صوت آسر جداً، انا لست جائعاً. وهنا تقـدم قليلاً ووضع احـدى يديه على كتفي والاخـرى على صدري. وفي المكانـين شعـرت كأن مستني النار. جئـت لا لآكل او لاشتري، لكن لأُطعِمَ وأُعطي..

اردت ان اسأله ماذا يعني، لكن ما استطعت الكلام. انتبهت الى ان كل ملامح ذلك الشاب تتوهج لا عيناه حسب. حتى اطرافه كانت



ذهبية الوهج وان له جناحين عظيمين يبدآن من ظهره، واحداً نارياً باهتــاً وواحداً اكثر قتاماً. فبــدأت ارتجف، كبر خوفي لكن لم أقوَ على الابتعــاد عنه. كان رقيقاً أحمر الشفتين مثل فتــاة لكنه متين البُنية مثل ابنــة فلاح. شعــرت ان قبضته صارت حديدية ومثلمــا لهب يشعلني حتــى العظــام. سحبني إليــه. زاد ارتجافي وخشيـــت ان يلوي ذراعي ويقذف بــي على الارض. لكنــه احس بخوفي وهمــس باذني بنغمة ناعمة: لاتخف. لا تقــاوم وكما الثلج ذاب خوفي في شمس انفاسه. استمر في كلامه: انه أنت الذي تعاني معي، تشاركني عذاب الاصبا غ والاحبار. أنت الذي تدفع يديك وجسدك وقوتك وروحك لتحتفي بــي. لقد نجحــتَ يا رامبرانــت. تعال دعنــا نحتفل. تشبــث بي اكثر واشتبكــت اذرعنا ورحنا نرقص معاً بين قماشات الرسم والرسومات على الخشب واطر اللوحات وورق الرسم. انطلق قلبي بخفقات قوية حلوة وحلقت روحي. بلطف، بهــدوء توقف صاحبي وخطا مبتعدا من ذراعيّ وقفز في الهواء واصطفق جنحاه وأراني عقبي قدميه. غاب في ريــح قوية وبقيت واقفا هناك انظــر الى اعلى منقطع الانفاس لكن بسلام.

## ٢٩ كانون الثاني

لم اعمل بجد اكثر مما عملت هذا اليوم ولا احسن ولا اكثر تواصلاً ولا شعرتُ بقناعة اكثر مما شعرت اليوم.

قالت كورنيليا اني ابدو سعيدا جدا كما لو اني رأيت ملاكا.

حتـى الان، لم اخـبر احـدا عـن الليلة الماضيـة، لا خشيـةً من ان يضحكوا مني ولكن...



## ٨ شباط

رأيت اليوم زنجيين فوق القنــاة. يتزحلقان. يشبهان ضربات قلمي على هــذه الورقة. ومثلها حــذِران. لكنهما يــدوان حازمَينْ بالرغم من "عصبيتهمــا" وتحديق الانظار. ضحكا كثـيرا، يُظهران لسانيهما الحمراوين. لكن ظل وجهاهما حزينَيْن وشديدَي الرصانة.

لم يعــودا عبدَيْــن مثــل اخوانهما. يــدو انهما خادمــان عند احد اللوردات فهما اكثر ترفا وان بعُدا عن وطنهما وقسى عليهما البرد.

رضيا ان يجلسا امامي للرسم على ان اتفق وسيدَهما. لذا سارسل هندريكشة لتؤمِّن ذلك او ارسل تيتوس ان كانت مشغولة جدا.

شخصيا، غــير مبالٍ بأن اتفاهم مع النبالة هــذه الايام، فقط حينما يدفعــان لي اذا طلبوا مني عملا. طلباتهم فخمةٌ دائما وان كان وراءها تعب.



## ١٠ شباط

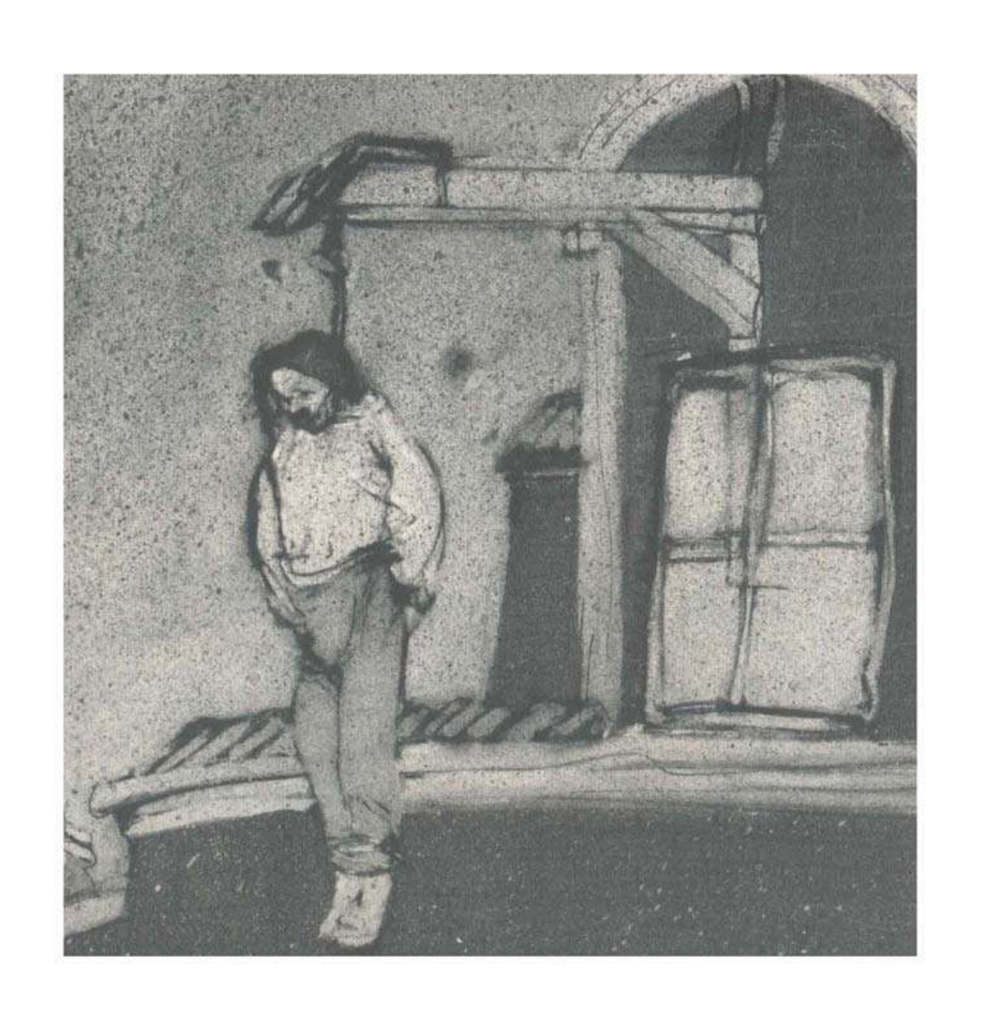
اليــوم، في ســوق السمــك. سمكة رنكة علــى الارض. وسخة لكنــي التقطتها. أنا ولوع أحب هــذا النوع من السمك. واحد من بائعــي السمــك رآني. كانت السمكة قريبة مــن كوم سمكه. صرخ بــي. أجبته بكل أدب ان السمكة لم تقفز من كومه. لكنه لم يستمع لي وراح يدعــوني باللص.. تقدمت بالسمكة إليــه مقابل ان يوقف ضجيجه.

زوجته، طلبت منه (صوتها اعلى من صوته) أن يصمت. وقالت لي يمكنني الاحتفاظ بها. ثم تبعتني وقدمت لي بضعة قروش. أخبرتها باني رجل شريف، رسام، ولست متسوّلاً. لكنها ضغطت قطع النقد علــى يدي وقالت: حسناً حتــى الرسامون يجــب أن يأكلوا، أليس كذلك؟ كانت لها وجنتان جميلتان، لها وجه باسم وخدان مشعان مثل تفاحتين طازجتين.

رحت اعمل بعد الظهيرة وبقيت اعمل حتى غرُبَ ضوء النهار. كنت ارســم النهر وبعض الأشجــار اللطيفة مــن ذاكرتي. يبدو اني كنت ارســم أشجاراً حتى قبل مولدي. يبــدو مضحكا اني لا ارسم أشجاراً هذه الايــام. صرتُ أُفضِّلُ الناسَ الاعتياديين. أولاء يمكن ان يكونــوا كالاشجار، هم ايضاً طوال واقويــاء، او نِحاف ومُنحْنون. علــيَّ الان ان اتوقــف لتناول العشــاء. هندريكشة هيّــأت طبقاً من الرنكــة والبصل. فرِحٌ اني توقفت عــن العمل. لقد كان طبقاً لذيذا.

هندريكشـه طيبة جداً معـي. القطة ايضا سعيـدة بحصتها. دفء، ضوء شمـوع، ضحـك وأولاء الذين تحبهم ويحبونـك. ماذا يريد الانسان اكثر من ذلك؟





## ١٨ شباط

البَكْـرةَ والرافعـة المتصلة بالعارضــة. تتدلى من أعلـى بيوتنا حتى تلامس أثاثنا. هي تذكرّ الانسان بأيام المشانق. أياماً اراهم ولايرونني، اياماً يرونني. اليوم كان كذلك. المشانق في كل مكان. مع ذلك لم اكن اشعر بما هو استثنائي. جــو الاكتئاب فقط زاد من غرابتها رجل يتدلى او امرأة، مشهد موجع. مؤسف جداً.

لقــد شاهدت كثيريــن يُنَفَّذ بهم الاعــدام، رسمتهــم، يُشَلّون عن الحركــة، كيف كانوا يُسْحَبون. امتهان لمشاعر الانسان، لمحبته. حتى إن جثة لاحياة فيها تتحول الى قطعة أثاثٍ تتدلى..

كم أودّ ان ارى مرةً ثانية إنسـاناً بجناحين!

## ٢٦ شباط

راقبت صبياً يرسم كلباً بعصاً على التراب. أثار عجبي. دائماً يثير ذلك عجبي. العالم كله يصنع صوراً. الصينيون، اليابانيون والفرس. ليس أقلّ منا نحن الاوربيين. لماذا، حتى اني رأيت مستنسخات لصور على غرار التي كانت في بيرو قبل ان يحرق الجزويت كل ما وجدوه تقريباً بدعوى ان ذلك من الإلحاد. شخصياً لا أمتلك أياً منها لكني امتلك بعضاً من الرسومات الشرقية اللطيفة.

حين انطلقت، الى الخارج، أُفعِمْتُ دهشةً من اولئك الذين سلكوا الطريق قبلي والذين أقتفي الآن آثارهم. لو أن لي قسماً من الرحلة، وقت اعادات الانتاج والطباعة، او كانت لي، إن كنت محظوظاً، النسخ الاصلية نفسها. كم أتذكر الآن جيداً رأس رافائيل، ذلك الذي رأيت في صالة البيع، وكذا البورتريت التي رسمها تيتيان والتي امتلكها الفونسو لابيز واليهودي الساكن هنا. بعد هذا، وإن كنت لم أرَ أياً من اعمال كارافجيو العظيم حيةً بلحمها علي ان أثني عليه لاستخدامه الضوء والظل. وأثني على رجاله ونسائه الذين لايشبهون الالهة الحجرية، او مادة الاحلام، او المعتقدات، لكن لهم الجلد الحقيقي والعضل والقوة والضعف ايضا. علي ألاّ أنسى رجال الشمال. دورر، صاحب المهارة التي تخجل الكثير من الرسامين الآخرين، كراناك، هولباين وفلمنجر، روبينز، فانديك وبروخل..

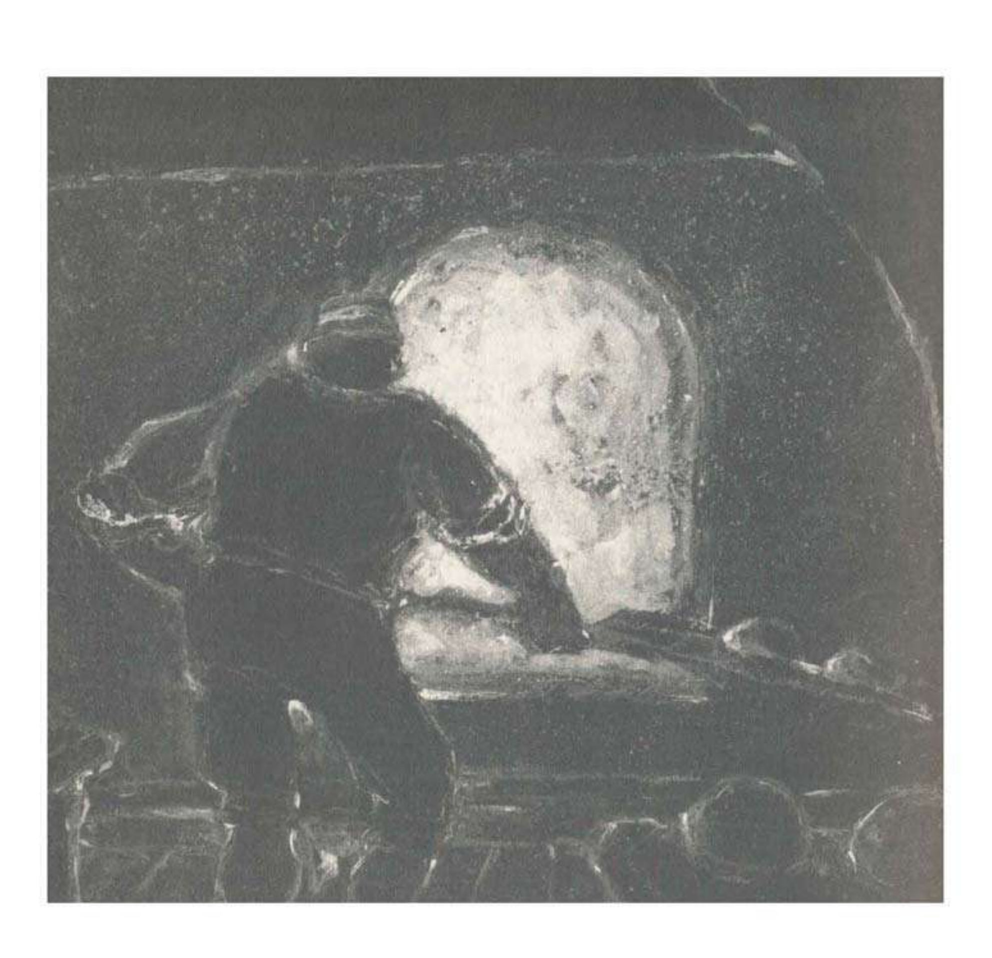
كيف أعتدت على الشراء حين نمت ثروتي؟ هنا ينبثق في الذهن

اعظـم كتـاب لرسوم اندريـه مارتجنـا الشخصية. أثمـن الممتلكات. وهنالـك اعمـال جميلة كثيرة وأشيـاء اخرى منوّعـات. أحب دائما النظـر الى الفن. لا لأرى العمل الفني حسب، ولكن لألمسه، و هكذا غالبـاً أشتريـه. لكن عليَّ الاعتراف الان بـان مختاراتي قد مضت الآن لاسدّد للدائنين. انهـا ضحية إسرافي، استداناتي ومضارباتي الحمقاء. لقد سهل لي بايليف هارنغ عبور حياتي. كم جيداً اتذكر الآن اسمه.

حـين اعلنت المحكمة ان يجب علـيَّ، اردت وانا في سورة اسفي وغضبـي ان اكسـر الحاجـز (كما فعلنـا في الخمسينيـات ضد جيش الامـير وليـم) وان أثير المدينـة ليوقفوا سلب ممتلكاتـي. لكن الحكمة وهندريكشة انتصرتا. واخذ القانون مجراه. اتذكر انهم باعوا في المزاد حتـى المتحجرّات، وباعوا رمحاً افريقيا، أحبه بكل روحي. ماتزال كل هـذه الاشياء باقية فيَّ. البهجة التي تمنحها لي لا تُشْتَرى ولاتُباع. ليقل مـا يشاء مالكوها الجـدد، فأنا امتلك نصـف الاحساس الذي تعطيه، فليكونوا بها إن شاؤوا اسعد الرجال.

ربمـا كنت احب الاشياء كثـيرا، لكني احبها لما تعطيـه من ارتياح وجمال لالقيمتها. انا احتقر النقود، والقصص التي تقول ان تلامذتي كانـوا يصبّغون قطع النقد على الارض كيداً لي ولكي يسخروا مني، هذا كلام، ببساطة، ليس صحيحاً.





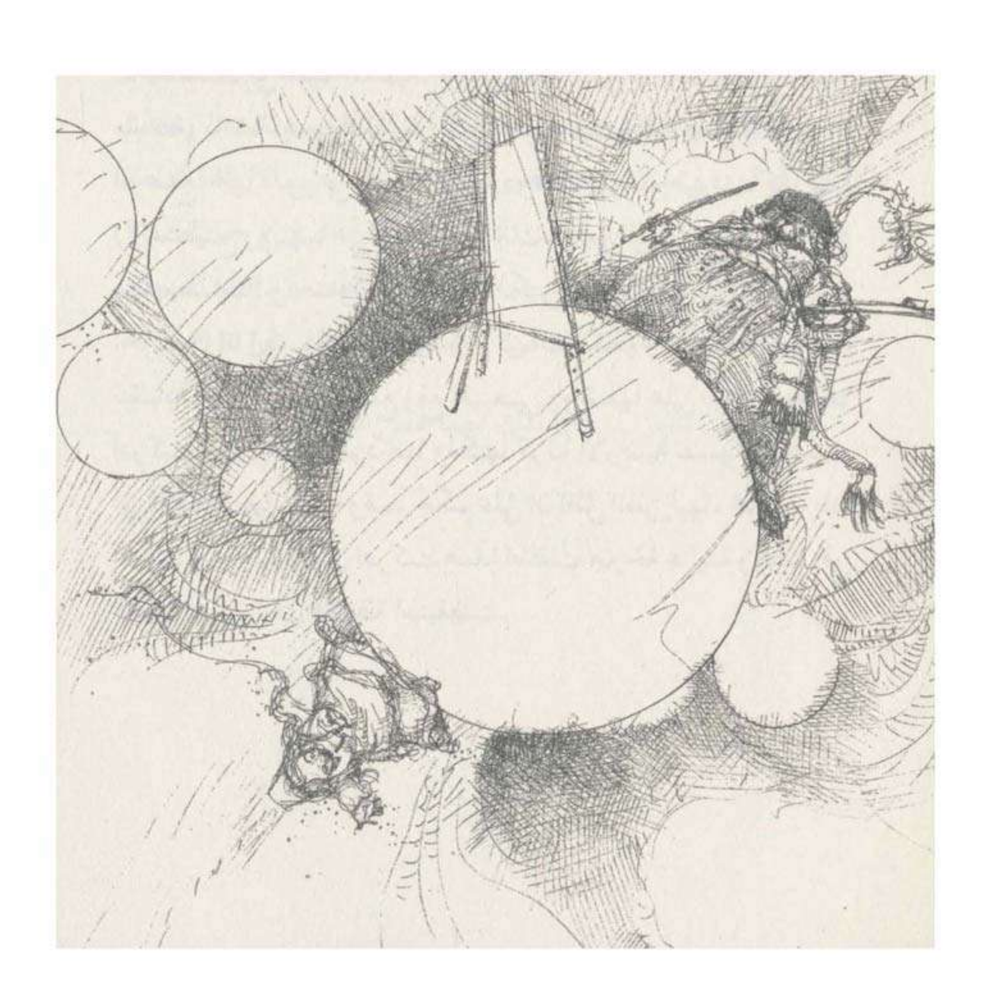
## ٤ آذار

توقفت اليوم أراقب الخباز في عمله. كيف هو ينضح عرقاً، كيف يدفع بـ بمجذافه الخشبي داخل خارج التنور الكبير. وباستمرار يغذّي النار بالوقود، ويمدّ التنور بالعجين. اراه دائما يسحب الارغفة محمّصة الحافات، يطعم المجموعات المتزايدة من الجائعين وحبّات العرق تجري سواقي ناعمةً على وجهه المرشوش بالطحين. هذه السواقي الناعمة الصغيرة صارت اكبر من اوردته وهي تجري على ذراعيه.

جدي كان خبازاً. وكان ذلك ايضاً عمل أمي.

## ١١ آذار

حلمت في الليلة الماضية. كانت هناك كرة أرضية هائلة، صقيلة ملونة، لمّاعة تشع. هي مثل تلك التي كنت املك قبل ذلك المزاد المزعج. انها تدور في السماء الليلية دونما اشارة أو صوت. كورنيليا (لااستطيع رؤيتها هي ايضاً): اين انت يا ابي في كل هذه الاصقاع والمحيطات؟ واحاول ان اجيبها لكن كل شيء كان في دوار من الحركة. انا ايضا كنت معبّأً بكوكبات مشعّة ومذنّبات وكرات تتقاذف فيّ. لذا لم استطع رفع اصبعي ووضعها على المكان. بعدها أدركت انها لم تكن أنموذجاً ولكنها كرتنا الارضية نفسها، وعلمت اني قُذِفْتُ بعيداً عنها وقد حُكِمَ عليّ ان اظل انظر إليها، محكوماً بان اكونَ متفرّجاً. حين ادركت هذا اطلقت صرخة عالية وبدأت في السقوط. في تلك اللحظة استيقظت.



## ٢٠ آذار

نهـاري علبـة عواطف. ذهبـت الى منزله عصر هـذا اليوم، عصر تلميـذي النافر. في محاولة لإقناعه بالعودة الى عهدتي. هذا لا يعني اني افضل صحبته مُطفَأ النباهة هذا مثلما افضل أجورَه. هو ابن رجل ثريّ وكان يدفـع جيداً. اما بالنسبة لموهبته، فليـس هنا مايدعو للبكاء على افتقادها. لم يصغ إليّ مدّعياً انه يفضل الحياة الحقيقية، كما هو المتسكعّ يسميها. هو يفضلها على الانضباط والرهبنة، حسب الفاظه. ليس في رأسه طبعا غـير مغريات ما وراء الزجاج والملـذات الجسدية. أنتفض وبفظاظـة خيّـبَ جهـودي لارجاعه الى الحظـيره. منتقـداً بأرخص الحجـج و الحـركات رغبتـي في إعادته. يَغمـزُ مشـكّكاً بحقيقة كل مـا ظـل من اسباب. فمـا كان لي بعد ذلـك إلا ان صرخت في وجهه معترفـاً، ودعوتُه بالصبـي العاق والمليء بالوحـل. صعّدَ من صراخه. أخيراً جمعَت ماتناثر من شرفي المنتَهَك وانسحبت.

يمكنـك تصوّر خيبتي. في عودتـي الى البيت وقد صحبتني مهانة الـروح والسخرية الصبيانيـة، وإذا بي امام الكثير مـن الريش منتشراً حـول غرفة عملي. صرخَت: لقد كان هنـا، الرجل المجنح كان هنا، و لم أكـن لأحييه! الريش الذي بـدا انه قدم من حيث الزغب في قاعَيْ كتفيـه، قد تساقـط في فوضى، كأنه كان غاضباً مـن غيابي. لابد من انه شعـر بالاهمال. عرفت شعـوره ذلك تلك اللحظـة. لقد شاركته شعـوره، لاني جربتُ لحظـاتٍ كهذه. نعم شعرت اوقاتـاً بالهجر مع

وجـود هندريكشة وتيتوس وكورنيليا. ليغفـر لي الله. شعرت بالاثم، اثم غيابي. و انا الآن مفعم بالأسى. كنت متأكداً من ان الرجل المجنّح شغلَهُ امـرٌ عظيم الاهمية فغادر من اجله، وانـه غادر بقوة وبخفقات سريعة من جناحيه، غـادر بسخطِ ملائكي. هل سأراه مرةً أخرى؟ أنا المَلوم! كان يجب ان اكون هنا.

تبـدو متطلبات السوق لاشـيء الى جانب محبتنا. لـن اذهب ثانيةً استجدي تلميذاً، ليأتوا هم الي بمحض إرادتهم.

وبينمـا أنا اندب وآآسى لمـا حصل، جـاءت هندريكشة ضاحكة لتخبرني عن زوجـة جارنا، التي سهت فوضعـت الدجاجة في القدر قبـل ان تكسـر رقبتهـا. المخلوقـة هائجة قفـزت من يديهـا. طارت بحريتهـا ناشرةً حفنة ريشٍ في انطلاقها. ظهرت الدجاجة في بيتنا بعد ان طـارت ودخلت من نافذة مفتوحة. لقد مرّت مرتعبة مضطربة بين قماشات رسمي وعُدَدِ عملي في محاولة يائسة للنجاة. محاولتها ذهبت سدى.

إذن لم يكـن الرجل المجنح ولا ريشـه. لذا قدّمتُ للدجاجة عميق شكري.

الدجاجة خسرت حياتها،

انا خسرت كرامتي مع الولد الوقح.

مع ذلك مازال لي أفراد عائلتي وصديقي وهذه ثروات لا تُضاهى.





توجهت عصر هذا اليوم لصديقي أفرام موسى داكوسنا (أو بن باروح كما يدرجون على تسميته بالعبرية، قيل لي ذهب يستطلع في الجوار. خادمه اعلمني بانه قد يعود في أي لحظة. قررت الانتظار، مادمت انتظر، قلت اشغل نفسي بالحديث مع عراف يهودي من بولندا. سألت هذا الرجل إن كانت ستمطر ام لا تمطر. نظر الرجل الى السماء، قدّرَ، ضرب رأسه الغليظة، وعاد يقدّر الأمور. بعد مدة تكلم. قال: نعم و كلا. قلت ماذا؟ لم يكن خوفي هادئاً، استمر: نعمْ انها بالتأكيد ستمطر في وقت ما. غداً، بعده، من يدري؟ لا مفر من ان تمطر إذا شاء الله ربنا ذلك. بالنسبة للوقت الحاضر، لا يبدو الأمر محتملاً لأن الغيم ينجلي في الشمال الغربي.

هذا ما يثيرني دائماً، ومن هنا صعوبة أن اسأل يهودياً. هم اما أن يجيبوا عن سؤال آخر، أو يعطوك احتمالين او اكثر. في الجواب الواحد دائما خياران، دائماً ما تظهر لهم عدة جوانب للشيء الذي يرونه. وإن كانت لهم احادية تفكير في مجمل ما يقولون. لكن هل يستطيع احد ان يؤكد ان اليهودي تام الاصغاء لك حين تتحدث إليه؟ أم أن قسماً منه فقط يعطيك انتباهه بينما القسم الثاني منه يقيم في الماضي والثالث يتجه الى المستقبل؟ وهل يسهم هذا فيما يوسَمون به من تحفّظ ومراوغة؟ شخصياً لم اصادف واحداً منهم اكثر التواءً في تعامله معي اكثر التواء من هولندي أوفلورنسي او من غير اليهود، كما ان لي بينهم العديد من الاصدقاء. عجيب امر هؤلاء الناس، ابناء

التـوارة اولاء، يعيشون هنا بيننا في امســتردام ويسيرون في الشوارع نفسها ويتنفســون الهواء نفسه وهم قبيلة ابراهيــم وسليمان وبلقيس الجميلـة واقرباء المسيـح نفسه! وانـا افكر بالحديث عـن الطقس مع واحد منهم، اجداده جابوا رمال الصحراء وتلال الجلجلة الخضراء. لا عجب ان تكون في عيونهم نظرة حزينة كسيرة، غالباً ما رسمتُها. هي ليست لايقين اليوم ولكن مـا في ذاكرتهم عن المكان الذي قدموا منه وما يصحبه من ألم المنفى. فمن الحكمة ان يتشمموا ريح المستقبل. اذاً مـاذا بعد هولندا والى اين؟ انهم ممتنون لملجئهم هنا. لكن كيف ليهود المدينة اولاء القادمين من ايبريا ومن اقطار شرق بلادنا، الذين يسخرون مـن استجوابهم امام المحرقة ومن الموت جوعـاً في بولندا والاراضي الالمانية كيف لهم التاكد من ان سلامهم اليوم سيدوم؟

حـين جاء افرام: اخـيراً سألته ان كانت اموره علـى ما يرام، قال: امتع بصحتي، وهذا جيد. صحتي تجعلني انسى تعاسة الاخرين.

كلام سيء!



## ٢٧ آذار

وانـا امر في الزقاق اليوم، سمعتُ صيحةً خشنة: هي، انت ياوجه الجِبْن! توقفت حالا وتلفـتّ، لكنني لم الحظ احدا. كان الزقاق مقفرا تمامـا. لكن كانت هناك نافذة مفتوحة تطـل عليه. اذ ذاك كنت كمن ينبـت في الارض ثابتةً جـذوره فيها. وكنت في خوف من السير، من ان ارى او اسمع او من ان اصرخ. شعرت ان من الحمق الكبير ان اظل واقفا هنـاك والصيحة التي سمعت تدور في رأسي بطريقة غير مريحة ابدا. وجه الجبن القديم، وجه الجبن القديم! مضت الصيحة وبقيت انا محمرّاً وقلبي يخفق عاليا موجعا.

بعد مـدة شـددت نفسـي وانطلقت ثانيـة في طريقـي، وبسرعة وصلت الشارع الصاخـب المندفع. مع ذلك فما زلت تنتابني خَضّة. هكذا، لساعات.

أي امـر مربك، صيحة تستلب هدوئـي بهذه الطريقة. امر غريب أما إذا كانت صيحة تائهة لا تقصدني ولا تعنيني، فتلك غرابة اكبر..



## ٢٩ آذار

صيحة طائر البحر اجتذبتني فتركت عملي نهار هذا اليوم. نحيت حاملـة لوحاتـي، فقـد لا مستِ الصيحـةُ اعماقي، أثّـرت كثيرا في، تأثيرهـا غمر منطقة مظلمة مـن نفسي. لقد انبثـق الصوت من انحاء غريبـة، جنسية وسحرية مثل الوان المغربيات، الوان ابتدعتها الشمس التي لن اراهـا يوما. انبثقت من معرفـة وراء الكلمات، وراء ضربات الفرشاة.

كانت صيحة مهددة مربكة كما التفكير باللانهاية.

اغرورقت عيناي بالدموع واحتُبِسَتْ انفاسي في صدري. والان، وكما الامر في شبابي، حبي لغموض واقع الحياة يجتذبني، يناديني، ينادين، هذا هو الشيء الذي لم يهن او يتلف بذبول جسدي.

لم اغادر عبر البحر ابـدا، وحتى لم اسافر خارج هولندا. ليس غير ذهابي مـن ليدن، حيث ولـدت، الى امستردام. وهـذه ليست اميالا كثـيرة، ليســت بعيدة، لكنـي سافرت كثـيرا داخل نفسـي وقطعت مسافات علـى طرق القلب الشاسعة وعلى الطـرق التي ترتحل عليها الـروح. تلك مسافـات لا تحد تخومها الا الصخـور التي تبتدع فيها يـداي وعينـاي وليس غير نقـاط البوصلة بوصلة حبـي الذي يكافح ليكتمل.



## ١ نيسان

' يوم كل الحماقات.

أي سبب، غير اسمي، يجعلني اليوم مختلفاً اختلافاً جوهريا عن الـ ٣٦٤ يوما الاخرى؟

ثم ان الطريق الى الحكمة الحقيقية هو ليس الرثاء للمخلوقات امثالي.

من بعد، هللويا! عاد الرجل المجنح! كان صادقا في وعده. ووبّخني على شكوكي بعودته. جلسنا معا واسترسلنا في حديث طويل.

## ٦ نيسان

رضيــت اخيرا برسم فتيات من اولئــك اللائي يدفعن لتعانقهن.. كان هــذا الشرط ضمن الاتفاق معهن قبل بــدء العمل. عمل مبهج، كثــير البهجة معهن لا تعترضـــه نشاطاتي الاخــرى. كان بينهن فتاة حلوة الردفــين من بروكسل. ما كان تعاملي معهن تجاريا، فقد كنت اميل للواحــدة منهن تجلس مثل أمرأة من روما على كرسي اعتراف، تتحدث لي وتبوح بما شاءت من اسرارها.

كان في الطابق السفلي كثير من الموسيقى والرقص والشراب حتى شعرت بالرغبة في مشاركتهم تلك السعادة (فاندفعت بغير اعتدال).

كانــت هناك امرأة، عرفتها. كانـــت ترعى صديقة قديمة لي. حال شعرهــا الاصفر (الاحمــر المسمر) رماديا.لكنه مــا يزال يسمى رد ميــلادي Milady Red (كمــا كان يطلق على موضـــة تلك الايام.) تعرفت على هذه المرأة في شبابي. بسرعةٍ وصلَتْها الاربعون..

اول زيــارة لي لهــذه المدينة كانـــت حين جئت لادرســ فيها ستة اشهــر على يــد لاستمــان Lastman. دمي الاخضر شديــد الغليان، والصاخـــب بالاحلام والاعمال التي لم تنجز، وجد منطلقا في وهج واثــارات تلك الشــوارع. نساء، شــرب، مســارح واكتشافات من شتى الانواع. بين تلــك كان قرع رنين الاجراس الاتي من كل تلك الكنائــس. اصوات تلك الاجراســ كانت تشرق في دمي مثل ازهار

الربيع، وكانـــت بالنسبة لاذني، التواقتين لسماعهـا، مثل ابواق تعلن شهرتي وتكشف عن منجز سوف يأتي!

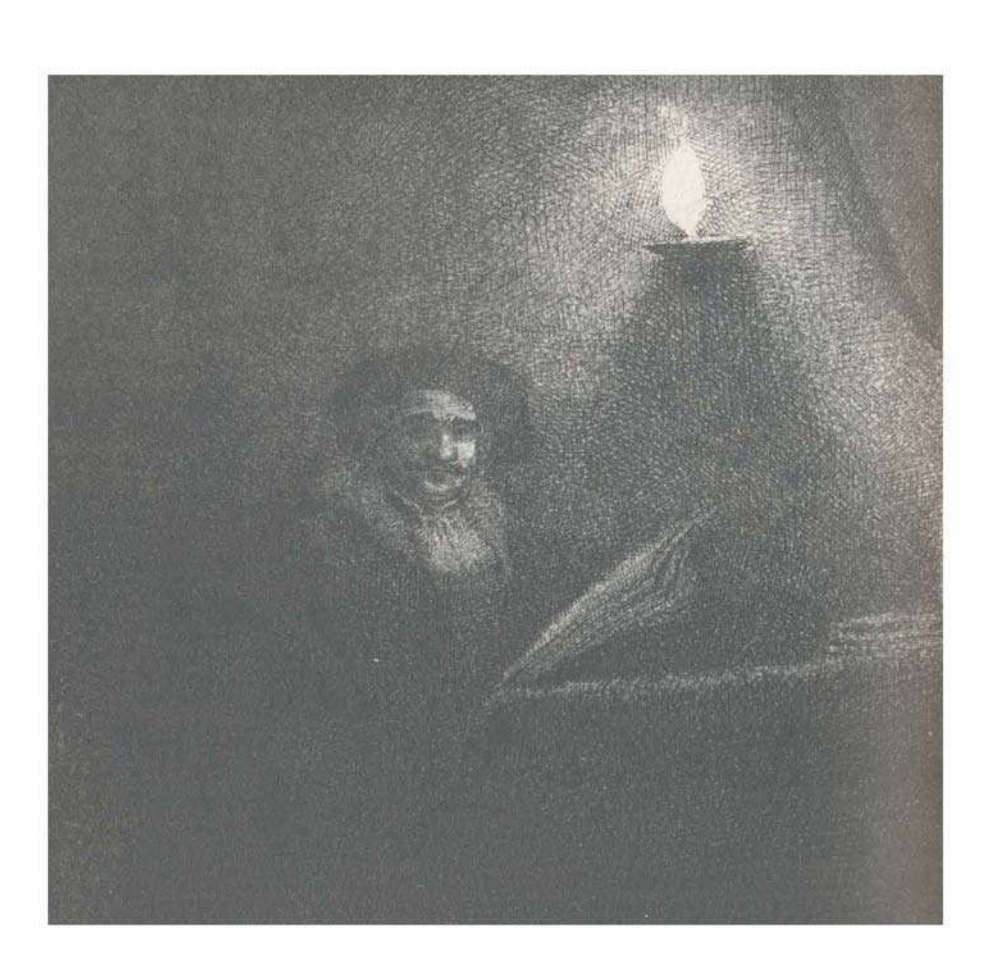


## ١١ نيسان

وحَـلَ الربيع فعـلاً، لا اسماً. فقد بدأ الهواء يَطْـرى ويدفأ وراقت ضوضاء الشارع واستجـدت، فكانت مثل احتفاء بنهاية الشتاء، وقد تجددت الوان الاشياء في الدنيا..

في بعضـ الايام اشعـر برغبة في اخذ حامل لوحاتـي والقماشات والاصباغ الى العراء لاعمل في الهواء الطلق. اتساءل ماذا يقول الناس عنـي؟ سيهـزون رؤوسهـم، وربما سيجـدون سببا اخـر يؤكد ظنهم بجنوني. هي حجة اخـرى لهم على خَبَلي. اما بالنسبة لاولئك النقاد ولاساتذة الفن، فسيجدون وقودا اضافيا لايقاد ازدرائهم وسخريتهم. لكنهـم لا يفهمون شيئـا على الاطلاق! اذا لم افعـل ذلك، سأسحب الجدران وأطيـح بها واسقط السقوف الى الارضـ (واثناء ذلك ايضا سيظل اهتمامي بظلال جميلة قد تأتي).

وبالرغم من الايام الطويلـة التي مرت، ما ازال بحاجة الى شموع ارسـم على ضوئهـا، افضل الشموع على القناديـل الزيتية فهذه تترك في العيـون دبقـا وان كانت اقل كلفة. فضلا عن ذلـك، افضل الرسم في الليـل يحيطني بحر لا نهاية له من الظـلام. يرى ولدي تيتوس اننا نصرف نقودا على الضوء قدر ما نصرفه على الطعام. فقلت له: كلاهما يغذي الانسان.





## ١٩ نيسان

مـــررت بدار العجزة. بناية كبيرة على جدرانها اقوال واشعار وافكار تدعـو الى الخـير وتكشف عـن البركات التـي تعقب العطـاء وكلام عن فضائل العمر السابع.

تساءلـت ان كان جميـع أولاد النـزلاء يشتركـون في حس واحـد يجمعهم وانـا ارى عددا منهم يلتفون بأسمالهـم ويقتعدون الارض في شمس واهنة.

بدا لي ان ليس بينهم اثنان يتحدثان واحدهم مع الاخر.. لا حوار. هم في هذا لا يشبهون النساء العجائز. فكرت: كم هي السنوات القادمة التي ستقودني الى مكان كهذا مُعوزاً ووحيدا؟ لكن كلا! هندريكشه وتيتوس اصغر كثيرا مني ولن يدَعـاني اذهب الى هناك. كما ان كورنيليا اقسمت ستتزوجني حين تكون في سن الزواج. اذن ليس هناك ما اخشاه.

مع ذلك، فبالنسبة لكثيرين لاعوائل لهم ولا مأوى، بسبب (ولادتهم) او بسبـب سـوء الحظ، هذا هو اول مكان ثابت لهـم. واولاء لم يأتوا الى هـذه الدار لانهم افتقدوا محبة ابنائهم لهـم، ولكنها الحاجة الجأتهم لهذا المـكان. النسوة اللائـي يعنين بهم يعملن الكثير صادقـات. حتى اذا بدا اهتمامهن خشنا، فعملهن يمتاز بالتقوى.

ولكن لن تصل بي الامور الى ذلك الحد، فوالدي مات في آب ١٦٣٠ ، في اوج ازدهار عائلته..

## ٢٨ نيسان

بعد طول انتظار ظهر الربيع وتفتحت ازهاره وافطرت عيناي هذا الصباح بوروده. وبينما انا اغطس واتأرجح في نسيمه المضيء (هذا ما يقولونه عني لا ما اقوله)، امشي واتأمل فيما شاءت الاقدار، صدمتني فكرة طارئة. فكرت: قيل ان هناك وردة تركية نادرة، هرع إليها ناس هذي المدينة ألوفا واعتركوا بوحشية يطلبونها، ليحظوا بامتياز الوردة النـادرة دون ان يـروا غرابة في السلوك والمسعى هـل كانوا يرون في ذلـك فضيلة؟ فلـم لا يرتضون إذن بمـا انا مدين به لهـم في لوحاتي. هـي بعد كل شيء نتاج انسـان كادح لا نبتات طبيعة يرعاها الله ثم ان لوحاتي، وهذه فكرتي، لن تفسدها النقود يوما..

انا بالتأكيد، وفي الاقـل، استحق ما تستحقه زنبقة (لو كنت مثلها جميلا)..

## ٣٠ نيسان

هـذا اليـوم، او في اليومين الاخرين دارت اشاعـة ان الطاعون قد عـاد. سمعـت ذلك اول مـرة حين توقفـت عند كشـك لاتناول ما ينعشني. يقولـون ان اسرابا من فئران بحجوم القطط تتجه الى المدينة، لا النار ولا الماء ولا الصلوات تصد جيوشها الزاحفة.

كان النـاس حوالي شاحبين او يتشكـون او يصقون، كل وحالته، حتـى كان بينهم من هم من شدة خوفهم يضحكون. امرأة شابة تحمل رضيعا اغمي عليها وراح زوجها يضرب مربّتاً على يدها، بينما طلبتُ لهـا شيئاً تشربه وانا اربّتُ على يدها الاخـرى. شخص ممتلىء صدَمهُ التقريـر الذي يتناقله الناس فابتعد لينسى انه في مكان عام وراح يرسم الصليب علـى نفسه.لكن لم يكن بين الناس مـن يجرؤ على مضايقته ويؤدي له ذلك الدور البابوي قبل الموت.

بالنسبـة لي، لم ابال بسمـاع ذلك، فلن يهزني مثـل ذاك اللغو، ما سيكـون سيكـون، ونحـن جميعا سنخلي هـذه الارض الى سواها بطريقـة او بأخرى. مع ذلك كنـت اشعر بأنّا يمكن ان نفعل اكثر لصد هـذا الطاعون الـذي يكرر اكتساحاته لبقاعنا مثـل مدّ قدر. لا اعتقد بأنها ارادة الله، بـل في وسع الانسان اكتشاف قارات جديدة او يجد سداً اكثر ثباتـاً يصد مجرى البحر الذي هو ايضا من بين اشياء الطبيعة. بعد ذلك بالتأكيد سيجهدُ فِكْرَهُ لاتقاء الفيضان والعذابات والموت.

ان لم يكـن ذلك فحتى يحـين، ليس لنا غير ان نتهيأ وارى ان نكثر

جميعنـا من اكل الثوم ونأتي بالزفت والفسفور لنطهر غرفَنا اذا ما أتى الوباء فعلاً.

انه تيتوس وكورنيليا من اخاف حقاً عليهما.

سواء كانت اشاعة ام لا، شيء واحد اكيد على كل حال. الصيادلة، باعـة الراتنج المسكّـن وجُرَعِ السمـوم وباعة الرُقـى سوف يجدون موسمـا ممتازا للعمل في الايامَ القادمة، كذلـك صيادو الفئران. ولعل اولاء هم اول من اطلق هذا اللغو..





## ٣ أيار

عينـاني تؤلمانني هذا المســاء. عليّ أن أتوقف عــن العمل مدةً حتى يستريحا. عليهما غشاوة والألوان تختلط.

تمــرّ عليّ ايام أخاف فيها من العمى، ليالي أحلم به فاستيقظ مرتجفا عاليــةً ضربــات قلبي. مــع ذلك، حتى لو عميــت، ساظـل أرسم. أنا أعرف الالوان من رائحتها. أصابعي تعرفها ايضا. الالوان بعض مني، هي بعض مكونات داخلي. وأنا مثل حَمَل يعرف كيف يرضع وأين.

غسلت عيني وساعود لأرسم. هندريكشه تتوسل أن أستريح. لكن كيـف يمكن لي هــذا بحق شمشون؟ اسمعك، لكنــك، مثل من يدور حول جدران معبد، في داخله ناس غير مؤمنين!

## ٨ آيار

سقطـتُ مثل ثمرة من غصن، مـن دون اي ألم، كأي مادة زائدة. طبعـا هرعت الى أقـرب مـرآة لأرى ان كانت قد تركـت تشوها في منظري. يصعب القـول، فأنا كل مرة أنظر فيها لنفسي أجدني مختلفا: الملامح، البشرة، جذور اللحية، الغضون..

ضبـاب عـادة يضيع وجهي ويغـيره ويموهُه مثل مـاء حول عوامة أنفي العظيم والخالد. حتى تبـدو عوّامتي لمن يلتفت الي كأنها آتية من الاعماق. حـالات مختلفات، حالة وراء حالـة، مستمرة. وهذه اليوم حالة أخرى. ما الذي يعنيه ذلك تماما؟ لا استطيع حقيقة أن اقول.

الناس يلتفتون ناظرين الي. ماذا يعني هذا؟

علي أن انتظر:

ادراك؟ تعجب؟ ازدراء؟ حيرة؟ تجاهل؟

لكن لماذا وم؟

أم هي دهشة الناس التي ما تخلصتُ منها أبدا منذُ ولِدْت دهشتهم من وجودي بينهم!



## ١١ آيار

هـذا اليوم كنـت افكر بوالـديّ، وهو مـا افعله غالبـا. تغمد الله روحيهمـا برحمته. كنـت أكسر خبزا فـتراءت لي طاحونـة أبي مرة اخرى.

سمعـت قرقعة الخشب علـى الخشب بينما القضبـان القوية تقود الاشرعة بمساعـدة الريح. تدور بانتظام في الهواء مثل سرب ملائكة.. تذكـرت بخاصة الطريقة التـي يرتفع فيها غبـار الارض فيتراقص في خطوط ضـوء الشمس عبر البرج المظلم. هـذه اول ذكرياتي واكثرها حضـوراً. خيوط الشمس هذه، والتـي اجدها مرة، واخرى حضرت في أعمالي، كما لو كانت تُسْتَدعى، فعالة مؤثرة، من ضباب الماضي.

ايضاً، تلك الارغفة "اللوفز" التي اعتادت امي على خبزها. تفوح بشذى دافيء لذيذ. كيف ياالهي "تحمصتْ" بهذا الجمال! الناس هذه الايام لايعرفون يصنعون خبزاً.

اتذكر يـدَيْ امي تضوعان من فوح العجـين ووالدي من الحبوب والنخالة. بخاصة الشعير فقد كان يصنع منه جعةً .. كانت قويةً، مُجِدَّةً وفخـورة وشريفةً ايديهما، طاهـرة تليق بفتح الكتـاب المقدس الذي يتلوانه بعد وجبات الطعام كل مساء بابتهاج وشكران.

ايـن هـذان الصالحان ممن اتذكرهـم، من يُسمّـون انفسهم رجال الله؟ اذكر كان ابـي يحدثنا عن الكتاب وكان يتلو عن ظهر قلب اكثر

مما يقـرأ، بينما تلك الشمعة تترك ظلالها على الجـدار. يقول ابي انها تمثّـل رئيس الملائكة. ان الله ارسلها لبنـي اسرائيل ليعلن عن خلاصهم وخلاصنا جميعاً.

لكـي تكون رساماً تحتاج ايضـاً الى يدين قويتين مثلهما. تحتاج الى باصرة وقلـب قوي. وانا اكتب هـذا ادرك كم متعَبَتان يـداي وبدأتا تُبطئان. هما لاتؤلمانني وانا اعمل، لن ادعهما! هما يشعرانني بتعبهما بعـد ان انتهـي واضع جانباً ادوات عملي. حينهـا اشعر كم متيبستان همـا وباردتان، فانفخ عليهما او ان هندريشكة تمسدهما لي. ساسكيا مـن قبل ايضاً اعتادت تفعل ذلك. اتذكر في ليلة زفافنا، اخذت بيدَي وقبلتهمـا بلطف، بأسـى قليل، قبلتهما واحدة واحـدة واوصتني بأن أعنى بهما، فهما بالنسبة لها ثمينتان كما لو كانتا يديها.

## ١٥ آيار

ضحكت اليوم كثيرا. احدثتُ تغيرا في حياتي.

فمـع ان الريح سيئة رطيبة وبـدأ ازعاجها منذ الفجر، لكني ذهبت الى العرضـ ومعي عائلتي حيث اتخمنـا أكلا وشربا. كان هناك الكثير مما يغري وما يؤخر والكثير من اكشاك البيع المثيرة للشهية، والكثير من اللحوم المشوية والسمك المسقـوف على عصي وكعك المازيبان وكل انواع الحلوى وهل يجب ان اذكر الشنابز وانواع النبيذ الاخرى.

هندريكشـة في غمـرة السعادة، ترتفـع خفيفة على العـاب القفز ذات النوابضـ، لكن كورنيليـا، يا للعجب، بدت ملتمـة الوجه قليلا بسبـب وجع في معدتها. اشتريت لها دميـة محشوة بالقش لالهيها عن وجعهـا. كثير من شقلبات الاولاد وصيحـات الناس التي تذهب فيها هبات الريح. كثير من الاندفاعات للامساك بأشياء وشدّها اليهم خشية مـن الانفـلات. وفي كل هذا ضحك كثير وصرخـات تنبيه واستمرار يظهر تصميما على مقاومة النكايات والمقالب. كما واجهنا الكثير من لطمات الثيـاب المعلقة في الاكشاك والاصطـدام بالمخيمات. كم من الالوان كانت هناك تتماوج في الفضاء،

يا للمجد!

الجميـع زادت اعمالهـم وارباحهم، ليسـ أقل من غيرهـم البغايا والنشالـون. وهناك واعـظ يصل بالقطار، ينبههـا ألاّ نترك انفسنا على

سجينتهـا.. لكني تمتعت بالبهلوانات والسحرة ولاعبي الاكروبات والرجـل الذي يتنفس وينفث اللهب. كم مفيـدة يمكن ان تكون هذه اللعبـة! استطيع الان ان أفكر بمواقف كثـيرة واشياء يمكن ان تكون في متناول يدي.

لكـن الاهم من كل ذلك هو فريـق الممثلين الذين قدموا على منصة جوس فانلن فوندريل قطعة مشهورة هي جزبريخت أمستل.

جمع من الممثلـين يتمشون، واكثر منهم اولئـك المتبخترون الذين يريـدون اللحاق بهم، حتى ينتهوا اخيرا علـى ركبهم يؤدون ما تتطلبه منهم المناسبة من ادوار.

كان بينهم ممثلة واحدة. امـا الثانية فهو رجل يتزيا ويتجمل بشكل أمرأة، مهمته ان يؤدي كل الادوار النسوية الاخرى التي يريدونها منه.. رجل لهذه المهمات، بالرغم من عرض منكبيه وسوء حلاقة لحيته..

وهناك رجل هزيل طويل يـؤدي دور بيشوب جزبريخت، الاب، مؤسس مدينتنا، بشد وسادة الى بطنه الموقّرا يبدو هذا محبطا لا قيمة له، مرعوبا ينتابـه الكثير من الشك بنتائـج ادواره الاتية.. وهذا مما يؤدي الى زيادة الاضطراب في نقطة يتوجب فيها على شخصيتين الكلام في وقت واحد. الكوميدي يـؤدي دورين بتغييره لباس الرأس مثل مهرج مخبول ويوائم الاصوات مع سرعة، لامع براعات محرك الدمى. وهو في هـذا الجو من التعاسة المذلة والقرف يتراشق عليه صفير الحشد، والريح مـن جانبها استمرت على ايذائهم، فهـي تخترقهم، وقد هددتهم اكثر من مرة بنثر الممثلين وممتلكاتهم قبل ان ينهوا المشهد الاخير.



## ٢٣ ايار

الاحد. رايت هندريكشه وهــي تتهيأ للنوم، تسحب قميص النوم على راسها. كان رأسها تلك اللحظة مخفياً.

كــم مرة رأيتهــا في مثل هــذا الموقف، هــذي الحال، عاريــة تماماً ومنحنيــة قليــلاً وذراعاهــا مرتفعتان، تسحــب الثــوب.. أي لطف لشعرهــا المسترسل على كتفيها. لكني هــذه الليلة امتلأت حباً، وكان قد تجدد اعجابي.

شعّ الضوء على ظهرها العاري وبدت بشرة جسدها كما لو كانت ذائبة في النور. رأيت العلامة التي تلي كتفها، ذلك الخط، أثر حاملٍ أو مشدّ. كبر حبي لها.

أكملــتْ لبس قميص النوم واستدارت، فرأتنــي انظر إليها. مرات شاهدتنــي اراقبهــا بهــذه الطريقــة! لكنها هــذه الليلة أحسّــت جيداً بعاطفتــي، فاحمــرّت، ترطّبــتْ عينــاي، كل شيء تلاشــى في ضوء الشمعة، حمرةٌ خجلها وذهبُ جسدها. وبهدوء اطبقت الباب عليها وغادرت..

علــيّ أن ارسمها كما رأيتهــا. جسدها المخطّط بالاشرطة لم يُنقِص من جمالها على العكس اكدّ بهاءها الأصيل.

كأن كل هــذه الأشيــاء التــي أحب بعمق، مظلّــة لسفينتي في تلك الرحلة البحرية..

فـإن جاءت أية سحابة لتُعَتِّمَ أفقي، فالحب هو الذي يبعدها، الحب والعمـل، نعـم والعمـل. العمل الجاد، ومزيـد من العمل الجـاد. فأنا اكتسـح المشكلـة باللون أمسحها كأي خط غير مرغـوب فيه، أُغيّبُها كأي موضوع لا أهمية له..

## ٢٧ أيار

هــو الفجر. عملتُ حوالي ثلاث ساعــات. هندريكشه في المطبخ تهيــئ الطعام وتساوم بائــع الحليب. تيتوس يدور ويتعــثر بما يصادفه. أكاد أحس بغشاوة بصره.

وصــل متأخراً ليلة أمس. دخــل يغني. أظنه مصابــاً بالحب. تبدو عليه أعراض الحب كلها. صـــار يكتب شعراً. الولد السعيد المسكين، سيخبرنا يوماً من هي، هذا أكيد، وفي الوقت المناسب.

كورنيليــا ماتزال في الفراش على الرغم مــن ان أمها كررت عليها النداء.

يــومٌ جديــد في بيتنا هــذا، في هذا الحي مــن المدينة الــذي يسمّى (جــوردون) والذي كرّمه سكان الحي بهــذا الاسم، اسم الأردن، هم يؤمنــون بحقيقــة انك يجب ان تمشي على الماء لتصــل الى هنا، من ثمّ تعبر النهر المقدس الى ارض الميعاد. والحقيقة بعد كل ما ذكرت، ظلت هنــاك في مسكني القــديم في برايز ستراشه. ظلــت هناك كل لحظات الفرح والأسى. عليّ أخيراً ان اترك تلك المرارات الحلوة للأمكنة التي كانت، وكما لو أصعد مرتحلاً الى عالم جديد أكثر أملاً.

وانــا اجلس هنا في هذا الملجأ المؤجّر على قناة روزس تخططه كل الأشيــاء الجميلة التي جمعتها حولي من ستراشه. انا هنا انال غذاءً أكثر وأنا أكثر راحةَ نفس وأخفَّ فؤاد ومع أن كل هذه الأشياء محبوبة بعمق،

فهي ليست أكثر من أشجار تستريح تحتها وأنت في طريق سفرك.

فإن جــاءت أي سحابة لتغيّــم أفقي، سيدفعها الحــب عني. وكذا العمل. عمــلٌ جادٍ يليه عملٌ جاد أكثر. فأنها في الرسم أُغيّبُ المشكلة مثلما أمحو خطأً لا أُريدهُ، أو أمسح عملاً منقوصاً..



## ٧ حزيران

أشتريـت زوجـاً من الاحذية [بـوت] من كشك يبيـع الاغاني. لم أستطع مقاومة أغرائهما، على الرغم مما ستقوله المسكينة هندريكشه. كان جلدهما ملتماً، مسحوقاً ورثاً بعد ان كان زاهياً يوماً ما وجديداً.

أيـاً كانت صاحبتهما، فقد كانت معوزة حقاً. لقد انفرجت فتحتا الحذائـين وسعهما، كأنهما يصرخان طالبَيْن قدمـي سيدتهما. الأشياء عاطلةً مثل الناس الذين يبدو عليهم الحزن حين لاينجزون العمل الذي يحبون، حين لايتحقق لهم ما أرادوا.

مـع كل ذبول هذيـن الحذائين فهنالـك ما يشغـل الاهتمام بهما، فحتـى إن كان وراء اهتمامنا لذة ازدراء، مثـل غمزة ودّية من شحاذ، مثـلاً، أو ظرطة في أجتماع غرفة تجارة، مثلاً، ربما كان ذلك الاهتمام بسبب الابزيمات اللماعة عليهما. فمـع ان الحذائين متضرران، مازال هذان يتلامعان ويتغامزان حين يقع عليهما ضوء الشمس.

حين وصلـت البيـت وضعتهما على حافـة النافـذة وثبّتُ بعض الازهار فيهما. صفقت كورنيليا بيديها رأت ذلك وراحت تضحك. الا يبـدو مدهشاً إذا لبسنا الأواني في أقدامنـا وأكلنا الطعام من قبعاتنا وجلسنا على المناضد وابحرنا فوق الدواليب في القنوات واتخذنا من الاسِرّة زلاّقات على الجليد!





## ١٤ حزيران

هي ذكرى موت حبيبتي ستوفلز، احياناً يوجعني مجرد ذكر اسمها. اوه ياعروسي الجميلة،كيف بي!

انا أعمل طول النهار بقوة أكثر، بدقة اكثر من المعتاد، كما لو كنت اقدم علـى مذبح حامل لوحاتـي أحزانيَ التي تتضاعـف في مثل هذا اليـوم. بسكيني، بفرشاتـي واصابعي أجعل من الأصبـاغ لها أوراداً حزينـة وجميلـة، أوراداً وهّاجة الالوان مثل جسدهـا الذي اتذكره. تيتوس ولدنا، هو ايضاً يبدو عليه الحزن، فهو يزداد هدوءاً.

هندريكشـه، كما هي دائماً من دون أي كلمة غيرة او فكرة. ليس غـير التماسك والصمت. كم مبـارك أنا ان تكون هكـذا امرأتين في حياتي. كم أشعر اني غير مستحق واقل شأناً.

أشرقـت الشمس طول هذا النهار وكانت السماء أرقّ زرقة حينما ارادت انانيتـي ان أُغلّبَ الكآبة على الاشراق. مع ذلك، فأنا ممتنٌّ لهذا الجـو الطيب والذي أراه، بعد كل شيء، لايهـزأ ولايبدي عدم أعتبار لذكراها..





## ١٨ حزيران

انطلقتُ اتجول حول الميناء مجلبباً بخِرَقي يصحبني تيتوس في مهمة سفيهة، تلك هي ان اجعل من اللون القَرمزي الجديد لوناً أحمر. كان يمكـن ان يكون أرخص لي لو اني اشتريـت الصبغ من الدكان مباشرة. بـدلاً من شرائه عبر عميل يعلن عـن وصوله بالسفينة تواً. لكنها اخبار تأخذنا ليتكشف لنا كذبها واضحاً بعد حين.

أُمضي وقتـاً في تهيئة مشروبات له ولي اكثر مما اقضيه انا في تسوية لوحة مجدورة. ولن أذكر الآن ما اقضيه من وقـت في تلميع حذاء قديم..

في أيـام مثل هذه، اتمنى ألا أكون مضطراً للذهاب الى مدينة خشنة وحشيـة، بل أحلـم بغرفة عمل ومـأوى مثل معبد سـري صغير يبنيه الكاثوليك في بيوتهم مخفياً تحت الكهوف ووراء الأسوار..

## ٢٣ حزيران

نحــن الهولنديـين مغالون في النظافــة. فكم نفخــر بلمعان بلاط ارض غرفنا وبأخشابنا الصقيلة ونعومة عتبات بيوتنا ومطرقات ابوابنا النحاسيــة تلمع كالشمس. وحتى جدران كنائسنا الكاثوليكية الغريبة مغسولة بيضاء.

النظافــة ديننــا. هي لا تلي المعبــود لكنها نفسها الآلهــة التي تطرد بعــزم لا يهدأ كل خليط الحيــاة واوساخها عن عينَي الانسان وروحه. الغبار والقــذارة لا يشوهان المرئيات حسب ولكنهما الطاعون يرسله الشيطان نفسه.

ربــات بيوتنا، في النظافــة، راهباتٍ يجاهدن من اجــل الصليب، وهــن مستقيمات لا يرحمــن القــذارة، يقاتلن بأسلحة مــن مكانس وحجارِ غسيلٍ، شديدات مثل محققين اسبان.

تركــت بيتي متأخرا هذا الصباح ورحــت اتمشى باتجاه القناة. الماء الجــاري ينعش روحي. كنت متعبا مــن العمل الذي ابتدأته قبل الفجر في حاجة لتجديــد طاقتي. وهكذا سرعان مــا ضعت في سكون امام المــاء، وفي تأمــل تجاوزَ مجرّدَ امعان النظر في المــاء الى نوع من التجريد اللطيــف حيث يهدأ الانسان وتلطف انفاسُه مستريحا كما ينعم كلب استلقى في اول شمس جميلة تلامسه تلك السنة.

رحت اتنقل في هذا العالم وسواه حتى استعادني الى الارض صوتٌ عالٍ كأن جاءني من السماء، هو الرجل الوسخ كما يقال!

دخـت. لكني حتـى الآن لم اخرج من عالمـي. استدرت، وقفت امـرأةٌ هناك وبصاق تحفّزَ على شفتيها، وسخة كانت مقرفة! غمغمت بشيء تلفتُّ حوالي، وإلى الاتجاه الاخر، لأرى من تقصده، أي شحاذ بائس مثلا، او أي بائس منبوذ.

لكنهـا كانت تحدق بي! وحالما عرفتْ انها نبهتني، دفعتْ وجهها بمزيـد من التحقيق (ما يسلّي هو كيـف تجمعت كل خطط وجهها في نقطـة حـادة عند فمها المزمـوم، وقد تحول وسخ وجههـا ودكنتُه الى سخط..).

نعم انــت، صرخت تشـير الى الرذيلة، عار لمدينتـا ان يتركوا هذه القذارة التي لا تعرف الكلام، تتجول في الشوارع فتسيء لاحاسيس الناس المحتشمين المحترمين،

ثم استـدارت على عقبيها ومضت تتجول ، ياللعجب، بكل ادب ومن دون ان تبصق علي، هذا الفعل الذي ما ظننتها ستتوقف عنه.

مـن بعد، وكأن مـا ألقي علي من باب اللطـف او من باب حماية النفـس فأمتعني، غشيتْ عيناي واضطربـتُ. حككت راسي فرأيت كمَّ وسِخٌ قميص العمل الذي لم أخلعه قبل ان اغادر بيتي. طبعا فهمت الآن اني كنـت ملطخاً بالاصبـا غ، لا قميصي وحده، فهذا كان عديد الالوان مختلفها مرقّشاً شبيها بـ جاكيت يعقوب، وكانت يداي مخططتين وكذلـك وجهي مثل بعض المتوحشين في العالم الجديد. اضف لذلك

ان ما تبقى مـن شعر رأسي قد انفرط حراً يتدلى، كالسرخس من تحت عمامة مقصوفة موحلة، فاخترت قبّعةً عتيقةً وضعتها على رأسي اليوم (القبعـات بالتأكيد تعينني على رؤية افضـل).. كل ذلك جعلني ابدو قذرا مستهجنا، انا فعلا في مظهر مخيف ومعيب!

دخلـت بيتـي حزينا– لم يكن الحزن من اجـل نفسي.. نظرت في المـرآة وفكرت: هذا الشكل البديـن المخطط الملطخ بعينيه الجاحظتين وانفـه البهيمي، كان وحشاً مفزعاً وقذراً وجب ابعاده عن الناس مثل مصـاب بالجذام، ربما كان عليّ ان احمل جرسـاً صغيرا احذرهم من حضوري.

انفجـرتُ ضاحـكا سألنـي تيتوس، ولـدي، عـن النكتـة التي اضحكتني. مسحتُ عينيّ ونفخت انفي و لم اعطه جوابا. لم استطع.

الجرس يرن:

لَنك ألنك ! لنك ألنك...



## ٢٥ حزيران

**في هذا الاسبوع اطول يوم في السنة**

جميع القمم.

ثم قطرات.

انه تصميم كل الاشياء وايقاعها المتدافع

أنا على ما يرام، ولكن هل هذا كاف؟

عليّ ان اجهد اكثر، الكدح هو الجواب الوحيد وهو سجيتي الكبرى. يجب ان اصل القمة.

السقوط بعد ذلك سيكون الراحة الكبرى.





## ٣٠ حزيران

عصر هــذا اليوم صرخت بــ كورنيليا. لقد جــاوزتُ قدرةَ تحمّلي بصراخهــا العــالي وزعيقها وهــي تلعب مــع ثلة مــن اصحابها، كان لعبا صاخبــا تحت نافذة غرفة عملي. كان يوماً حــاراً وتركت النافذة مفتوحة على وسعها.

سبــق ان توسلـــت إليها، رجوتها ان تحرر طاقتهــا اما بصوت اهدأ او ان تذهب الى مكان ابعــد. لكنها رأت توسلاتي ملائمة للأهمال. حاولتُ بكل جهد ان اكبح عصبيتي وأتلافى نفاد صبري مما تسببه لي مــن ارباك، لكن لم أُوفّق في ذلك. فتسلقت الى النافذة، انحنيت إليها وهددتُها بغضب.

كنت تلك اللحظة هائجا اعمى. وعدت الى عملي اسوّي بالمدحاة الرولــة كتلة الشمع على الاطباق اهيؤها للنقش، وهو عمل شغلني بلا جــدوى. صدمها صراخي الغاضب العالي فراحت تنشق ثم انفجرت باكيــة بصوت عالٍ امــام وجهي الهائــج. وهنــا زاد الضجيج وصار شيطانيــاً اكثر فرحــت اطلب الرحمة والسكينة مــن السماء. من تلك اللحظــة شعرت اني استحق الرثاء، ورحــت انحب مثل طفل. وبعد ان انسلّتْ صديقاتُها مبتعدات مثــل الفئران، و اختفت هي من المشهد، شعــرت اثر ذلك بحــال زري، مؤســف، وتحول الســلام الذي سبق الحَــدَث الى قلقِ بالٍ وكــدر. حاصل كل ذلك هو دمار كل الجو الذي كنت اتمتع به ودمارُ عملي.

كان علي الآن ان أبحث عن الطفلة المسكينة خارج البيت واطيّبَ خاطرها وأربّت عليها طالبا الغفران. وانا استذكر ذلك يبدو غريبا، أن دموعها جعلتني استثنيها من كل التبعات، هو حس الابوة يحتلني!.

## ٣ تموز

نهضت متاخرا جدا. خَجِلٌ من ان اقول ذلك. الشمس عالية صرت كسولا مثل لورد ثري.

لكن ليس كل الاثرياء خاملين. النشاط صفة الصناعيين من تجارنا. بالنسبة لاولاء العمل المتواصل والتجارة التي لاتهدأ، هما الفضيلة وفي نظرهم الهدف هو تجميع الثروة، وانا اظن ان الثروة تؤدي الى السلطة ففي جمهوريتنا الغنية الحق الالهي للملوك، وهذا يعني ايضا حيازة الذهب.

في الاسبوع الثاني، وانا اتجول في المدينة، نظمتُ اغنيةً صغيرة:

أنت وانا نعيش في بيوت

من خشب وطابوق وحصى

لكن الرجال الاثرياء يعيشون في

بيوت مبنية من قهوة وفاصوليا

وحرير وتوابل

ومن ذَرَة وحيتان

وعبيد سُلِخوا من وطنهم.

مـع ذلك وانا اعـرف اني (بالرغم من كل عملـي وزهوي وتاخر يقظتي هذا الصباح)،لست اكثر من متسول في ابواب الاثرياء!

.



## ١١ تموز

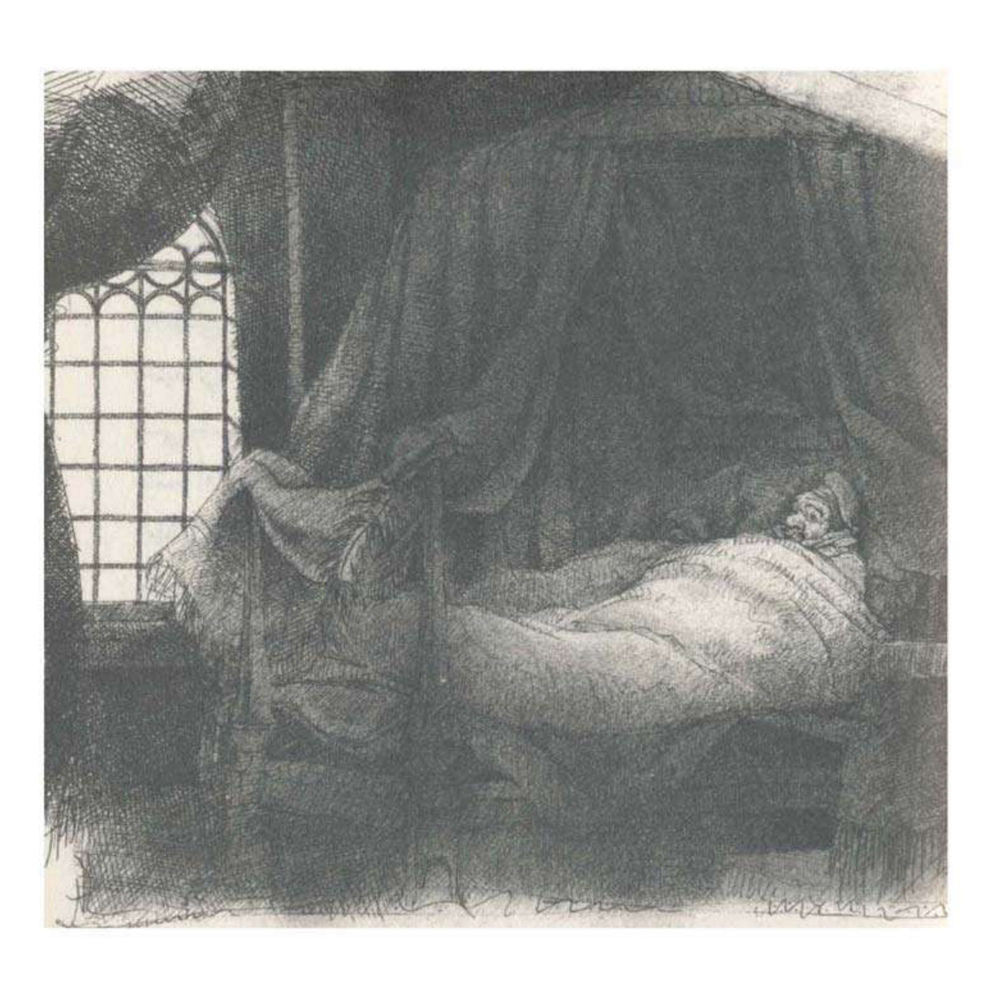
كنت هذا الصباح جالساً بهدوء وارتياح. انا اليوم اول من استيقظ وكورنيليا مازالت نائمة مادام هو يوم الاحد. سلمتُ، فترة نومها، من ثرثرتها التي لاتنتهي ونقنقتها ومن فرحها الصاخب بالحياة.. بدأت افكر كيف ان نضجنا او كبرنا يكون بطيئا بسبب صحبة الاطفال، وكم ننسى معهم طفولتنا، وهنا انتبهت، كان عليّ ان افعل شيئا بازاء الطريقة التي بدأ فيها الضياء ينسكب عبر النافذة، وهو ببطء ولطف يعبر الغرفة المعتمة. شعرت كاني قد أُضيء داخل نفسي فاتضحت عروقي كلها.

فجأة، كما لو اني لم اعرف ابدأ من قبل، عرفتُ الان من اكون، ومن أي بقعة انبثقت انا رامبرانت، ابن هارمن ابن كرت الطحان في ليدن.

انتشر الضوء الزاحف في الغرفة. لابد من ان سحابة تمر الان على الشمس. احسست في الحال ببرد يلم قلبي وتذكرت كم كان الظلام وانا طفل في مطحنتنا، ظلمة لاتشبه أي ظلام عرفت. لقد اجتذبتني تلك الظلمة مثلما ملاتني بشوءم اسوأ كثيرا من الخوف،الخوف الذي يلازمني حتى اليوم. لهذا، كما اعتقد، انا ابحث عن ضوء شمعة لاخترق الليل واسعى لمعانقة النساء للدخول في اضوائهن وفوق كل هذا، اندفاعي الى الرسم وافناء نفسي فيه، هذه هي القوة الوحيدة القادرة على اعادة النور، على طرد الليل من قلبي وأعماقي.

السحابـة مرت، وعاد الضوء لكني مازلـتُ شاحباً، ومرةً اخرى غير متاكد مما كنت. بعضـ الذكريات تُختَزَن، اخرى لها طعم احلام رديئة.

بـدأت اجراس الاحد، قـررت، ان من الافضـل ان انهي عملي. بالنسبـة لي لايوجـد يـوم راحـة. وقبل ان ابـدأ العمـل ذهبت لاقبل هندريكشتـي. استُفـزّتْ واستمـرت في نومها بعـد ان انقلبت على ظهرها ثم كانت كلهَا وردية ناعمة وضحكها ينسكب شلالاً عليها..



## ١٥ تموز

يوم ميلادي الخامس والخمسين هندريكشه واصدقاؤها الاطفال هيأوا لي هذا المساء احتفالاً بسيطا للمناسبة. اثناء ذلك وقعت عيني على المرآة بينما كنت اجتاز سلالم اليوم الاخير، خطرت لي فكرة هي: لن تمحي كل العلاقات والخطوط القديمة وان قشورا كثيفة جدا تيبست منها علي. لااعني بها آثار زيت الرسم فهذه اعتياديا تلطخ وجهي ويدي وشعري حتى شاربي اللذي يغطي شفتي كما هو اعتيادي ان تبقى ادوات الرسم مرقشه مثل لوحة اصباغي اليابسة، هي يابسة مثل نَعَم جافه! ستظل اثار الماضي كثيفة علي فقد تراكمت مثلما أُهيل أنا الصَّبغ على القماشة بالطريقة الايطالية التي نسميها impasto لقد تراكمت طبقة فوق طبقة.. هكذا اعيش انا وهكذا اردت حياتي وبحثت من قبل عنها. اعتقد، وقولي صادق، ان تجارب حياتي جميعها الطيبة والرديئة، الخشنة والناعمة، متساوية عندي.

لا ألتمُّ او اهرب من أي منها. لقد تمنيتها احتجت لان اعيش كل واحدة منها،ان اعرفها كما تحدث ساخنةً وحادة. اتنفسها مثل الالوان التي اخلط واعجن و التي ادلّل وأُربّت عليها وأوجّهُها لا فقط بالفرشاة والسكين ولكن باصابعي نفسها ايضا، بجلد اصابعي العارية. انه الاغواء، القتال من اجل الحب، لحماً للحم، فلم يعد من فارق عندي بين الرسم واللحم، بين اليد التي ارسم واليد التي ترسم. رسمي صراخ وهدير. هي رسومي. الضحك والنحيب، والابتسام في النحيب، كل هذه في الرسوم، الرسوم التي هي رسومي. انا الرجل

الـذي وراءها. حسنا هكذا عشت، كنت السطح الذي تكومتْ عليه تجاربي رشّختْ نفسَها فوقه. انها المباهج والتاملات احاطها ضوء ذو وهـج ذهبي او الق بنـي ناعم هي الاصباغ تراكمـت وهي المخاوف والشكوك وكل اوقات الهم واسعةً وكثيفة. ظلال مغموسة في العتمة والمرارة تصارع ذلك الضوء والضوء يدفعها، يسحبها او ينحنى امامها ولكن لايهرب ابدا من جسامة قوتها. ذلك امر لن اقبله ابدا.

فانا اعرف جيدا اني لاشئ من دون ذلك الضوء أو ذلك الصراع.

تمتعت بوجبة يوم ميلادي الفخمة وانا الان اتوجه سعيداً الى السرير مع امراتي المباركة.



## ٢١ تموز

كلنا ارتدينا افضل ثيابنا. طبعا نحن لانملك بدلات كما كان يتيسر لنـا من قبـل. ابتدعنا ثياب اليوم من خرق ومـن شراشف الاسرة، من ادوات الطبـخ واي شـئ خطر لنا وكان قريبا مـن ايدينا. صنعتها من مـواد قديمة متروكـة وتالفة حد انهـا لاتنزل من اجلهـا مطرقة دلال مـزاد. اه من تلك المطرقة التي هوت مرة ومرة وحطمت حياتي كلها فاحالتها مسحوقاً وذكرى..

لكن دعني الان اتجاوزها.

قمـت بتلـك الثيـاب مزهـوا مثـل نبـي وعلـى طـراز صديقي الراحـل رابـي. لقبنـي الاخـرون ابراهـام فرشـاة الرسـم Paintbrush ben Abraham. اقلعنـا بـ هندريكشه وهي مثل ملكة الصيـف، تمشي، ومِسْحَب من لحاف يزحف وراءها كقطار وتطوق راسها الخرز الملونه وفي شعرها، الذي دبّسناه وردة لماعة.

كانـت تبدو مثل شاعر جـوال، تروبا دور تتدلى مـن يدها مقلاة طويلـة الذراع، مثـل عود بعد قليـل تُسْمَعُ الحانُـه. وكورنيليا تلتف بستائـر تحمل مسعـارا هو صولجانهـا وشريطا مقصّبـاً، فهي الاميرة الجميلـة ارمنتـاود تدعو نفسهـا، او تختار اسما اخر بهـذا المستوى

ونحـن جميعا نطيعها وندعوها بـذاك الاسم، وعادة يكون اسم امها مونـارك الملكـة، ولية العهد. اكثر مـن هذا صنعنا للقطـة عمامة من قطيفـة قديمة من حقيبة، صَنَعتْها مـن قبل لكن اخرجتها اليوم لتمضي بها القطة في الشوارع.

## ٢٩ تموز

هندريكشه

تنام

ذراعاها حول راسها

مثل هالة

احدى يديها

مشدودة القبضة

ابهامها الى الداخل

اليد الاخرى

مبسوطة

مستسلمة ناعمة

لهما شخصية مزدوجة

مثلما

لقلم الفحم

ساذهب وأُقبّل

راحة يدها

فانا اعرف

شذاها

الدافئ

العفيف

الناعم.

عزيزتي هندريكشه غالبا ماتبدو متعبة هذه الايام اخشى انها تجهد نفسها في رعايتي لكنها ماتذمرت يوماً و لم تشكُ. سعالها يزداد سوءاً ولاتسمح لي بان اكلمها عن ذلك. لقد اهملتُها مشغولا باهتماماتي.





## ٣١ تموز

آه يا الهي! أنا غاية في السماجة!



## ٢ آب

ذبابـة تستقـر على يـدي وأنا اكتب هـذه السطـور، مشمئزٌ منها وارغـب في طردها لكني مشغول لا أريد قطـع الكتابة. لقد جلسَتْ علـى ساقـين طريتـين وتبدو خفيفـة بثقل نحلـة. هي مفعمـةٌ بضوء الشمـس، ولكنها ذكية فعلاً. هكذا بـدت حين استقرت وهكذا هي في اسلوب طيرانها السريع.

أحببـتُ قردتي، فينوس، أحببـتُ سلوكَها الحكيـم والمضحك، وأحببت ايضاً جاذبيتها. من طباعي أني يهيج غضبي ضربُ الخيول ولا احب حبسَ الطيور في الاقفاص. مرةً رأيت ثوراً مذبوحاً، مسلوخاً. لم أنسَهُ أبداً بين كل مارأيت من الحيوانات الميتة او التي تموت. من كل هـذه أخذتُ قسطـي من الألم. أما ذلك الثور المـمـدد مفتوح الجسم، فيقف أمامي، يجب أن يقف أمامنا جميعاً، حيواناتٍ، كنا أم بشرا.

فإنســان ممَدَّدٌ على المشرحه وقد فُتحَ جوفه أمر مرعب حقاً. القلب يخفق بأسى ضعفِهِ وسهولة دماره. الناس المتعالية خيالاتُهم كم يبدون متشابهيـن متماثلين تحت الجلـد، وفي سهوله تمـزق اجسادهم. أي كشف مريع يظهره انشقاق اللحم بسكين الطبيب.

مرافقـي، الرجل المجنّح، اختفى. طار. أبديـت اشارة فظةً له وأنا اغطس ريشةَ الكتابة. أنا غالباً دونما أي فكرة. مع ذلك، احس بمساس الفكرة لي. او انها تعشعش بـين شعرات رأسي القصار، تتوقف برهة في طريق رحلتها.

أنــا نفسي، أدقق، افكــر، لأعرف في أي قسم مــن الجسد تستقر الروح، هذا إذا كانت مادة ملموسةً أصلاً.

## ٥ آب

سمعت اليــوم موسيقى ناعمةً، حيّةً، طازجــةً وجنوبية. كانت ألحانــاً لذيــذة يعزفها طبال ذو ســاقٍ خشبية ورفيق لــه عازفُ ناي أعمــى. أعطيتهمــا مبلغاً جيداً وقدمــت لهما شراباً كثــيراً بقدْر ما ابهجتني موسيقاهما. مقابل ذلك زاد سرورهما وعزفهما. تساءلت لِمَ لمْ أسمع بلحنهما هذا من قبل. أجابني ذو الساق الخشبية (الذي فَقَــد ساقه وهو جنــدي حامل مِطْرَد، جاءته قذيفــة مدفع فاقتلعت ساقــه.) قــال لي انهمــا تعلما ذلك اللحــن من بحّار وهــذا بدوره التقطــه، في آخــر رحلة له، مــن خادم سفينــة، عــازفٍ، أصلُه من البندقيــة ويعيشــ في هافانا. أدّيا لي اللحن مــرة ثانية، فاحتاجا لملء قبعتهمــا ثانيــة و ثالثة. الجنــدي المناوب في مربضــة، أراد من فاقد البصر معزوفة اخرى. كان هذا جزءاً من الكوميديا الكبيرة للمدينة، والتــي يسميها الطهرانيون فوضى، او شــر، ويحبها المشاركون في الاستمــا ع لها ليُبعدوا الانحطاط عن البشر. كل المشردين والشحّاذ المطارَديــن في دار الاصلاح، وكل النساء اللائي هناك شحاذات او بغايا. وأما اللواتي في بيت النسيج فمهنتهن الحياكةُ والغزْل. هؤلاء علّمَتْهُــنّ الحياة أن يخطِفْــنَ طاعتهن وينسجنهــا بقماشة الاحترام والاخلاق.

لكنهــن بسبــب ان مأواهن ليس بعيداً عن طريــق الطيبين الذين يعبرون من هناك، مصطحبين معهــم عوائلهم نحو المهرجان، كان اولاء يلقــون لهن قطعة نقد صغيرة في الباب، طبعاً لقاء تحديقهم في

هؤلاء المخلوقات البائسات اللواتي ندعوهن المتبطّلات والخاطئات.

بعد العشاء تعلَّمَ كلٌّ واحـدٍ منا اللحن الجديد. فراحت ملاعقنا تتقافز بأكوابنا الكبيرة ونهتز مع اللحن، فرَحُنا كان كبيراً.

كانت هندريكشه مألومة تتوجّع وتخفي ذلك. تيتوس، ولدي، أخبرني بأنها اشترت أدويةً من دجّال.



## ١١ آب

ساءت جدا صحة هندريكشة. استُدعيَ الطبيب. هبطت معنوياتها. بدا انحدارُحها لهذه الحال منذ الصيف. فقدتُ من قبلُ زوجةً، فهبْني الشجاعةَ يا الهي لان اعيش ايامي هذه واحفظْ لي يا الهي قوّتَها وعافيتها. هو انا من استفذْتُهما بطلباتي التي لا تنتهي، بفرط حبي وهياجي وصياحي وشدة ساعات اكتئابي وبطلبي ان تهبّ لمساعدتي دائما وان تستمع لمتاعبي وحديثي الذي لا ينتهي عن افكاري الغبية والنارية في كل شيء.

هي الرقيقة جدا والسمْحةُ التي لا تعرف الضغينة ابدا... ايضا، برجوعي دائما الى بلدة زوجتي الراحلة "ساسكيا" واهمالي لها غير مفكر باحتياجاتها وهي معي هناك حيث اسكن على حسابي واعمل. تلك طريقتي!...

وهي تحبنا جميعا في كل احوالنا. تحبنا كلنا، ولدي الذي هو ليس من جسدها، ابنتنا العزيزة التي اعطتنيها وانا في الثامنة والاربعين وانا، انا الذي اعرف انها تحبني بعمقٍ وصدقٍ وبلا تذمر ومن اجلي وبّخها علنا امام الناس رجالُ الكنيسة وطردوها. لقد تقبّلتْ بسرور وبلا خوف انْ تعيش وتقترف الخطيئة معي. كان صعبا الزواجُ منها بسبب شروط وصية ساسكيا على فراش الموت للافادة من مالها وبيتها، ان لا اتزوج. لقد تحملت المهانةَ بسببي. لقد كانت سندي وملاذي والان

تلــك القوة تـزداد انكماشا كل يــوم. اتوسل اليك يا الهــي احفظها، اتضرع اليك الهي، والا، فخذني بدلاً عنها.



## ١٣ آب

يالهـذه الارض، هذا السهـل الذي يبدو احيانا بحـراً اكثر مما هو أرض. كم تهيمن عليه الابـراج والطواحين والكنائس. خبزٌ وروح. (ألقِ خبزهم فوق المياه...) ولكن أين هو الخبز للكثيرين من جمهوريتنا الثريـة المتنورة؟ أين هو الخبز للاخريـن، لهذا العدد الهائل؟ ثم اين هو غضبهم من اجل اخوانهـم واخواتهم الذين فقدوا حياتهم؟ أي عمى وأيةُ أبادةٍ هذا الذي يسمونه الافتقاد؟

الرسـم مشـاركٌ وموحِّد. على قماشـة واحدة يجمـع الرسم بين الملاك وحمار الزريبة والشـوارع المزفّتة بالشمس والضوء بالظل وانا الرسام بالمتفرجين على عملي.

عملي هو برجـي الشخصي ارتفع فيه إلى خبـزي اليومي وأكافح عليه لأوجد شكلاً وأكدّس عالياً صخور الحياة لأصل الابدية.

## ١٤ آب

ليلة مناسبة جدا.

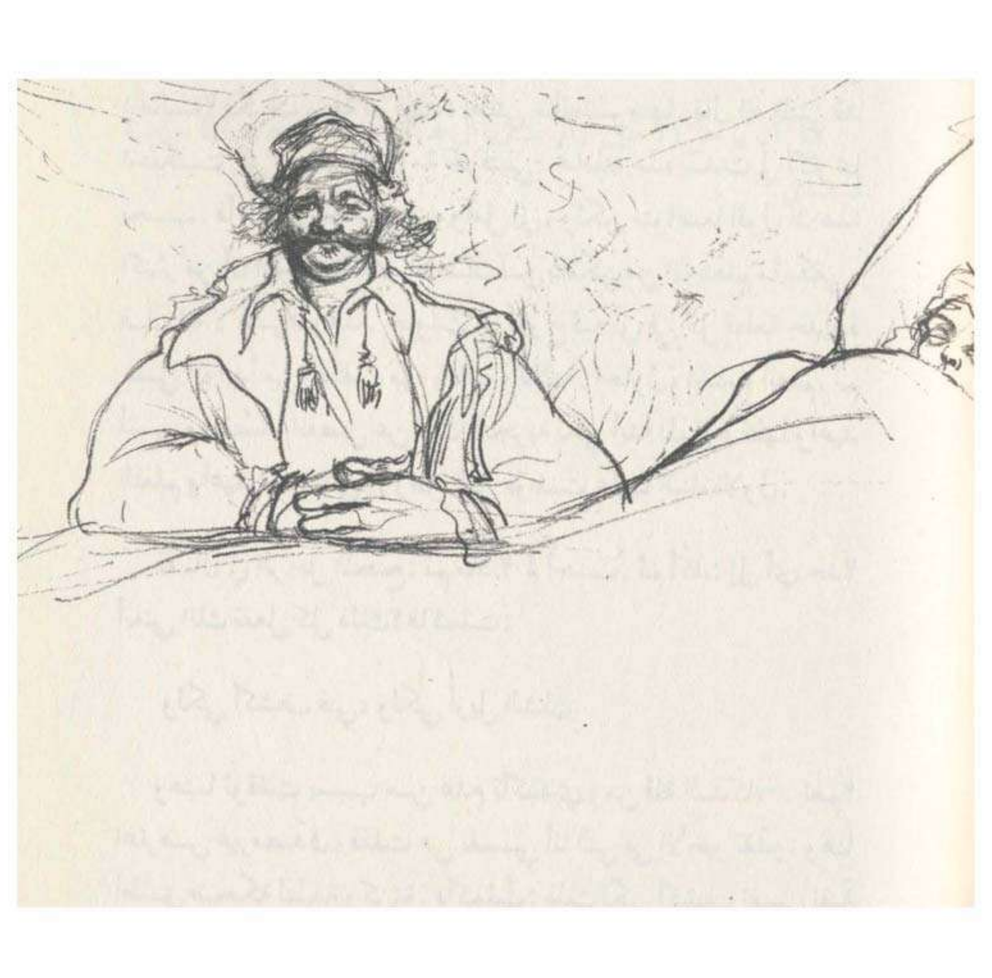
ما الذي عليَّ ان افعله لاسعاف هندريكشة؟ دلني يا الهي وبفرح سأفعلهُ.

يا الهي لطفك، اكشف لي اي جهدٍ ابذل، ما الذي يجب علي فعلُه، اتوسل اليك!

ساعمل بعشقة اكثر، سأُتعِبُ اصابعي حتى العظام وأُنهِكُ شَعْر فِرَشي، أُحرق قماشاتِ اللَوحات بحبي، بعبادتي وحتى المهارات التي لم تكتمل بعد عندي

سأُسَخِّرها اذا كان ذلك ينقذها. اوه يا الهي انقِذْها وبارِكْها! بارِكْها!

منكسراً اترجّى رحمتَكَ فانا احبها جدا، بارِكْها وانا ايضا سأُباركها.



## ١٧ آب

في هــذه الليلــة سألنــي الرجل المجنح مــا الذي سأفعلــه بلوحاتي الحاليــة؟ فكرت برهةً ثم قلت: اظنني سأتعلــم منها. قال انه ظنني قد امتلكــت كل المعرفــة اللازمة لحرفتــي. مجاملته هذه بــدت لي اكثر مما يجــب. فأجبت: صحيح اني، وآمل اني، ولكن متواضعاً اقول ان هذا اكــثر من أن اكون كذلك. الانسان لــن يتمكن من ان يتعلم ما يكفي. قــال انه لا يعــرف هذا. حاولت ان أشرح لــه اني في كل قطعة جديدة علــيّ أن ابدأ من الصفر، مرة وثانية وثالثــة. احاول، اختبر، أتعلم. ثم أنسى ومتقصّداً انفصل عن تلك التجربة لكي أبدأ المسيرة كلها وأعيد التعلم وأعيد البناء على الارض التي قوّضت عليها البناء الاول.

فقــال لي الرجل المجنّح: ثم ماذا؟ لم أُجــب. ثم أكّد: إلى أي حد؟ أتعني انك تفعل كل ذلك؟ فاكملت:

ولكي أكشف فني، ولكي أُزيل الشك.

وهنــا توقفت بسبب مــن عدم تأكــدي ومن قلة الــذكاء-: نعم؟ اعترض غيرمصدّق، فقلت هي نفســي أنا التي في الأخير تقدّر. وهنا أطلــق ضحكة لطيفة وكريمة. فأكملتُ: ذلك لكي أكشف نفسي نقيةً في حــال تشبــه ابتسامتك، وحيــث كل المُنجَزِ، يصبح مزيــجَ سكينة وقناعــة. حيث كل مُقْلِقــات العقل ومُربِكاتُهُ تعمــل هي والروح معاً كياناً واحداً.

فقال: وتستمر في العمل، ولكي تودع الحاضر تقدم كل الشجاعة وكل الفـــرح.. قال هذه الجملة وارتحل. كم اتمنى أن ارى ابتسامةً مثل ابتسامته، ابتسامةً تشبــه زورقاً خالياً تحرّر من العاصفة فارتاح منساباً على مياه هادئة.

قبل ان يرحل، وحين كان مـــا يزال هنا، سمعته يردّد صلاة خاصة لـ هناي.



## ٢١ آب

تـردّت صحـة هندريكشه ثم استعـادت عافيتها، لكنهـا ما تزال ضعيفـة خائفة و لم ينقطع سعالها. لكن كـم عظيم هو الفرق. انا ممتنّ خاشـع لله وبرِقّة خاصة ارعاها. كنا نمشي على أطراف اصابعنا، لكن من غير رعب وحزن، انما نبض بالارتياح والامل.

يجب ان أُسجل هنا امتناني ودَيْني لجيراني ولصاحب المنزل وعائلته الذيـن اشاركهم السكن فقد كانوا جميعـا لطفاء جداً ومتعاونين معنا في أيامنا الأخيرة هذه.

هندريكشه محترمـة جدا في المحلة، وفي الحقيقـة هي جد محبوبة. كمـا أنهم يرعـون كورنيليا ويهتمون بها جيداً، ممـا خفّف عن كتفي عبئاً كبيراً.



## ٢٤ آب

وهكذا تـترك ريشتي اليوم تقريرها في هـذا الكتاب الصغير. لقد كانت تحوّم مثل طائـر ضخم على الصفحة قبل أن تحطّ وتشرع برسم أثـرٍ من حبر. افكاري غالباً، وبصـورة طبيعية جداً، توصلني الى حال مـن التسـاؤل إن كانـت يد رجل آخر هـي التي تـترك علائمها فوق أوراقي. ما يهمني ليس الأثر ولكنه شيء باهر مثير. انا في الأخير أصل الى حكم أن هذا الاثر الذي تُرِكَ ممتع وقيّم، و لِمَ لا، مخيف!

أولاً يجب القول، أن عدد الموضوعات التي نعمل عليها دليل على ان رغبتنـا لا تكـفّ ولا تنتهي في ترك أثر لنا. لمـاذا؟ نظرة واحده الى جـدران المدينة تُقنعُـكَ بذلك. كل تلك التي تُـرى على الجدران هي رسائل. فليس الكاتب والفنـان وحدهما اللذان يودعان نفسيهما في الانشاء أو في تركيب الخطوط.

بالنسبـة لي، افضّـل وسائل أُخـر لرصف الطابـوق والحجر، وإن كانت هذه قضية تتعلق بذوقي الشخصي وبما أُتيح لي من فرص اوسع.

## ٢٨ آب

اري ربة البيت جالسة في شرفتها. تخلٌ موجع يبدو في الحال التي تضع فيها المرأة يديها المغضنتين في حضنها... كثيراً ما الاحظ ذلك... الاكثر إدهاشاً هي تلك الحالات الاكبر، التي يبدو فيها الضعف واضحاً... حين أرى النساء هكذا، أعلم أنهن اكثر تعباً ويتحمّلن من الهموم اكثر منا، نحن الرجال.



## ٤ أيلول

يخبرنـا كارل فـان مانـدر في كتابه المفيـد كتـاب الرسامين، عن زيوكسـن، ذلك الفنان اليونـاني الذي قيل انه مات مـن الضحك إثر رسمهِ لعجوز مضحكه.

أيـة طريقة صادقة ومباركـة هي، سواء كانـت في السخرية أو في العلاقات الحميمية أو الفكاهة الجيدة...



## ١٥ أيلول

نمت هذه الليلة مع هندريكشه. هي المرة الاولى مذ مَرِضَتْ.

حبها ليس خطيئة.

مشاركتي لها حياتها ليست خطيئة.

وليســت خطيئة بشرة جلدها الناعمــة كالزبده، شعرها الذي قبلته ومشّطتــه، فخذاها، ثدياهــا، يداها المحبتان اللتــان تحتضناني، عيناها اللتان تستوعبان عُريي وشفتاها حينما تتلفظان اسمي.

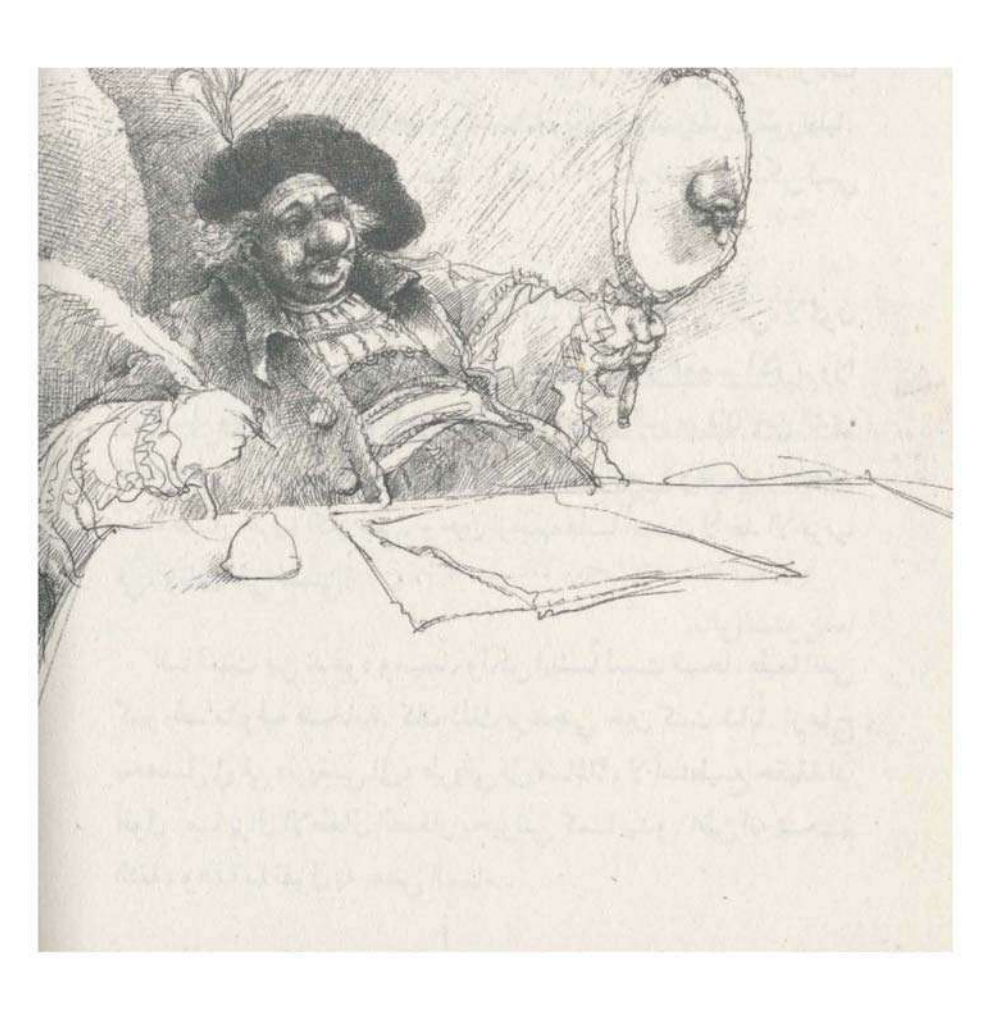
اول مرة ضاجعتها حين كانــت خادمتي ثم صارت خليلتي. الآن نحن متساويان.

## ١٦ أيلول

قضيتُ هذا الصباح وقتاً طويلاً انظر فيه الى نفسي في المرآة. أردت أن أرسم وجهي. ثانيةً؟ ضحكت هندريكشة وتيتوس وكورنيليا. دائماً ما يقولون لي هذا. صحيح اني كثيراً ما ارسم نفسي، ولكن ليس من غير سبب.

انهـا الرغبة نفسها التي أرسم فيها وأُلوِّنُ و اخطط أي شيء لاكون صادقـاً، أقـول ان وجهـي تغيّر كثيراً. صـار بمرور العمـر اكثر بروزاً ويباسـاً، ويبدو اكثر غربـةً ايضا. بمعنى آخر هو الـرم. فان جن الذي اتابعـه في المرآة، مايزال موجوداً بعد كل هذا الزمن، وكل هذا الجهد. لكنه صـار غريباً اكثر عني. وحين ارسم، فأنـا أبحث لأجد الأغرب فيّ، وتلك هي نفسي!

أنـا لست من تدعوه وسيماً. ولكن ايضـاً لست قبيحاً. طبعاً انني كبير لحد ما وفيه ضخامة. كان ذلك يزعجني حين كنت شاباً. ازعاج يحصـل لي في طريقـي الى، طريقي الى مـاذا؟، لا أستطيـع حقيقة ان أقول. مـا يزال الاطفال الصغار يحبونني كمـا يبدو. اظن انه يمنحهم الثقة، وهذا ما تقول به بعض النساء...





## ٢١ أيلول

مضيـــت في نزهـــة طويلة قبـــل الغداء حتـــى وصلت ظاهـــر المدينة والريف. لقد استغرق ترك المدينة وقتاً اكثر مما كان يستغرقه في شبابي. ليـــس سببُ هذا بطءَ سيري عما في تلك الايام ولكن بسبب ان المدينة ايضـــا قد تمـــددت خلال هذه السنين مثـــل كرش رجل شَرِهٍ، ببناياتها الجديدة وشوارعها والميادين ومايخطر لك...

هي القدس أو بابل؟ كل مدينة ممتع أن تراها وفي كل اتجاه ما يجتذب العينـــين لترتفعا بالنظر اليه. جيش مـــن الرجال يدفعون حمولاتهم في مناقع ليشيدوا مخازن وكنائس ومستودعات وخانات. آخرون يتشبثون بهياكل مبان يضيفون اليهـــا شبابيك سقوفاً ومداخن... العمال هناك يجثمـــون على سقالاتهم عاليا في السماء مثل ملائكة صغار لم تكتمل بعـــد اجنحتها. وهناك اطفال يتّسابقون، يَجُـــرون أطواقَهم على طرق رصفـــت حديثـــاً. ونسوة عاريـــات الاذرع يدلكـــن غسيلهن بمدالك حجريـــة جديـــدة كما لو انهـــن لم يفعلن شيئا آخر من قبـــل ولن يفعلن بعده شيئـــاً. ما زلن هناك مزروعات في تلـــك البقعة لا يعرفن سواها، ومـــن دون أي فكرة لهـــن عما كان من هذا المـــكان يوماً.. وسط هذا الصخب وقفت اشجار يوماً (وأنا اتذكر هذا، ليس بعيداً) وكانت في هذا المكان مـــراع وابقار وارانب برية. بعيدا، وخارج ضجيج البشر، جلست استريـــح. على أرض وطيئة رطبـــة، لارسم تخطيطات سريعة قبـــل ان اعود. ايضا لأريـــح أنفاسي، أُريح رئتـــيَّ المسكينتين. الجسد، كما يقولـــون، وعاء قصير العمر. كل شيء هنـــا كان هادئاً جداً، دافئاً

جداً، ممتلئاً جداً بأزيز وهمهمة الحشرات... الاوراق والفروع تتحرك دائمــاً. لكن لا شيء من الريح (فقــد كان نهاراً ساكناً) لكنها تتحرك، يحرّكهــا اهتزاز الحياة فيها. جلست هناك وقتاً طويلاً ساكناً بلا حراك إلا حركــة أنفاسي الخفيضة المتثاقلــة في صدري. وفي نوع من نصف النوم تمتعت بمراقبة جمــع من النمل يزحف نحو غايته عبر تلك البقعة من الارضــ. هذه وسواها استحضرت في ذهنــي رئيسَ حرسِ البلدة يانتج كوك الذي دفع لي يوماً مبلغاً لارسمه- لكن مع تقدير الاختلاف ومع كل الاحترام للضابط وكتيبته بشبابها الكيسين اللطاف، يختلف النمــل عنهم، ليس للنمــل ولا قليل من التفاخــر او الصخب. النمل، وهذه ملاحظتي، يعرف طريقه على سطح ارض الله الواسعة.



# ٢٢ أيلول

غن نهــار أمس. التربة، لا استطيع نسيان الارضــ التي نشأنا منها (والتي اليها جميعاً نعود). التراب الرطب المعتم، الأعشاب والديدان ودفء الـتراب وشـذاه العميق. مثل النباتات نحــن نبثق الى الاعلى، بحثــاً عن الضوء وبرغبة عمياء واثقة.. هو الضوء الذي يلتقي بالأرض في عنــاق مثل عنــاق شقين، الواحد في الآخــر، وسط الظلام الابدي المحيــق بنــا. هو هذا العناق المبــارك الذي يجعل الواحــد منهما يتيماً منقطعاً من غير صاحبه.

الارضــ الخصبة في كل مكان. هي تسند سقوفنــا الخشبية، بيوتنا الحجرية، الكنائس، الجسور والأبــراج.. نحن في الحقيقة لا نستطيع ان نخطو خطوة خارجها. الحرير والفراء والقطيفة و جتى الجلد على أقدامنا لا تستطيع كلهــا أن تبعدنا تماماً عنها. ولا الزيوت ولا العطور وانواع العبق كلها غير قادرة على محو شذاها، شذا التراب الذي يسري في أنفاسنا. ايدينا وخواصرنا وجباهنا كلها مُلطّفة بعصائرها.

في غرفــة عملي، تمــددتْ ساقا حاملِ لوحاتــي في الارض، نفذتا خلال طبقــات التراب الى اجوافــه ودارت فِرَشــي وسكاكيني حول اللوامس البعيدة والجذور. هذا ما تصورته.



## ٢٣ أيلول

هـذا النهـار، سكـب احد طلبتـي عليَّ زيتـاً. ليس عمـلاً نادر الحـدوث، لكنه أثارني اكثر من المعتاد، كمـا أساءني وآلمني قوله بأني أثـرت اعصابـه فأغضبته. أحزننـي قوله. شكـراً لله لم تُدمَّر اي من اللوحـات. صرخت طويلاً عالياً وعالياً حتـى شعرت بضعف واني تعبت. سأجعله بالتأكيد يدفع ثمن ما خرّبه.

ليس لي طلبة كثـيرون، كما كان لي يوماً. أولاً اني اختار الطالب بعـد طول تفكير. ثانياً ان موديلات اخـرى في الفن حديثة تجتذب المتدربين أو آباءهم.

لمـاذا يـرون ان حياتهم كلها محفوظة في الفـن وورائي أنا؟ نظرة واحدة تكشف انهم جد يائسين وأنهم خائبون في مواقعهم وقاصرو الموهبة. طبعاً هذا لا ينطبق على الجميع ولكن على أغلبهم.

في أول لقاء مع الطلبة، أنظر دائماً في عيونهم والى ايديهم قبل أن أصغي لما يقولونه. وإن استمالني احياناً حجمُ محفظاتِ نقودِ آبائهم. هذا ما يجب الاعتراف به.

حـين كنت طفلاً، اعرف دون أي ظل من شك ان هناك اهتماماً بموهبتـي. لقد كنـت ارسم منذ أيامي الاولى (كلـب، كرسي، أمي، اختـي، جـاري..) في الرابعة عشـرة، وإطاعة لوالـدي ذهبت الى

الجامعة. رغبته في ان أُكمل دراستي وأخدم مدينتي، وان اصبح مديراً مدنيـاً. أحيي تحية إكبار اخوتي الذيـن لم يقفوا مع والدي ويحولوا امتيازي الى غير صالحـي. لم يتمنَّ لهم والدي نهايات كالتي أرادها لي. فقــد عملوا كلهم بالتجارة، ادريان صانع احذية، ويلن خباز.).
لقــد وجدت في إخوتي سنداً حين قررت الإفلات من ساحة صراع الديكـة، اعنــي الاكاديمية، حيث واجهــت فيها امــوراً مقنّنة يابسة بعيدة عن مزاجي وراحتي. كنــت دائماً انظر باحترام عال للدراسة الحقيقيــة و للباحثــين والدارسين الحقيقيين. اخــيراً فضّلتُ أن أتولى حياتي الخاصة وتعليم نفســي، لأنظِّمَ من بعد حياة الآخرين. ادرك والــدي اخيراً اني حقاً منكبّ لأكونَ فناناً، فأعانني وشاركني الرأي في اختيار معلمــي الأول. وهكذا بدأت الطريق الذي قادني لأكون معلماً ايضاً.

في الماضــي الــذي عانيت فيه مــن تسلّقات بعضــ طلابي الذين أخــذوا ما قدمته لهــم فباعوا متباهين مهاراتهــم وارواحهم ليرضوا الــذوق العام. ووضعوني في أماكــن عليا مما جعلني أضيع الكثير من نظــام عملي كما انهم مَــرّروا بعض أعمالهم خــلال أعمالي لينالوا أثمانــاً جيدة. أما كيف، أو هل، يميــز المشترون الاختلاف، فهذا ما يقطع انفاسي حتى اليوم.

لكــن كل ذلــك صــار ورائــي الآن. و لم يكــن أولئــك أوغاداً. شخصياً أحيي الولد كارل فابرتيوس كثيراً. رسام لطيف ذو مستقبل أكيــد لكنه قُتِــلَ شاباً في انفجــار مستودع أسلحــة في دلفت. لقد أُعجبــت بخاصــة، في لوحته الطــير الأصفر. ظلالها ظــلال استاذ وغايــة في الهدوء وكان متميزاً في اسلوبه. خسارة كبيرة. واحد من

كثيريـن توقعت منهم أشياء جيـدة. كما أني مازلـت أردِّد أن الفتى الآخر هينـد، كان رقيق القلب، فدعه يأخذ منـي الكثير من المؤونة التي بصعوبة كسبت.

## ٢٥ أيلول

وأنـا اعيد قراءة اوراق الايام الثلاثة الماضيـة، كان علي ان أضيف شيئـاً عن الاصباغ. فهي مـن دون أي شك تأتي من الارض، الارض التـي نأتـي كلنا منها. تتحول مما كان ينمو في رحـم ارضنا، الى الوان حيّة، مثلما يتحول ذلك المعـدن الخسيس بيدي الخيميائي ذهباً. لكن الألوان لا تتم بطرق سحرية او بمعجزة، هي تتم بمهارة الانسان، مهارته هي التـي تُحدِثُ التغير. من المعادن، كالرصاص والزنك نحصل على الالـوان البيضاء. من الكوبالـت والنحاس نحصل علـى الزرقاء. من الرصاص (ثانيـة) واوكسيد القصدير نحصل علـى الاصفر. كبريتيد الزئبـق يعطينا القرمزي والسمائي وذا الاسـم الجميل والزرقة البديعة الذي يدعى اللازورد، هذا الذي نستورده وندفع ضريبة عليه، والذي هـو، للاسف شديد الغلاء. اصباغ اخرى نحصل عليها من الصبغات النباتية والخشب المحـروق. فأشكال عناصـر الأم، والارض نفسها، وعلى التعيين العنبر والأوكر، تعطينا كل درجات الأحمر.

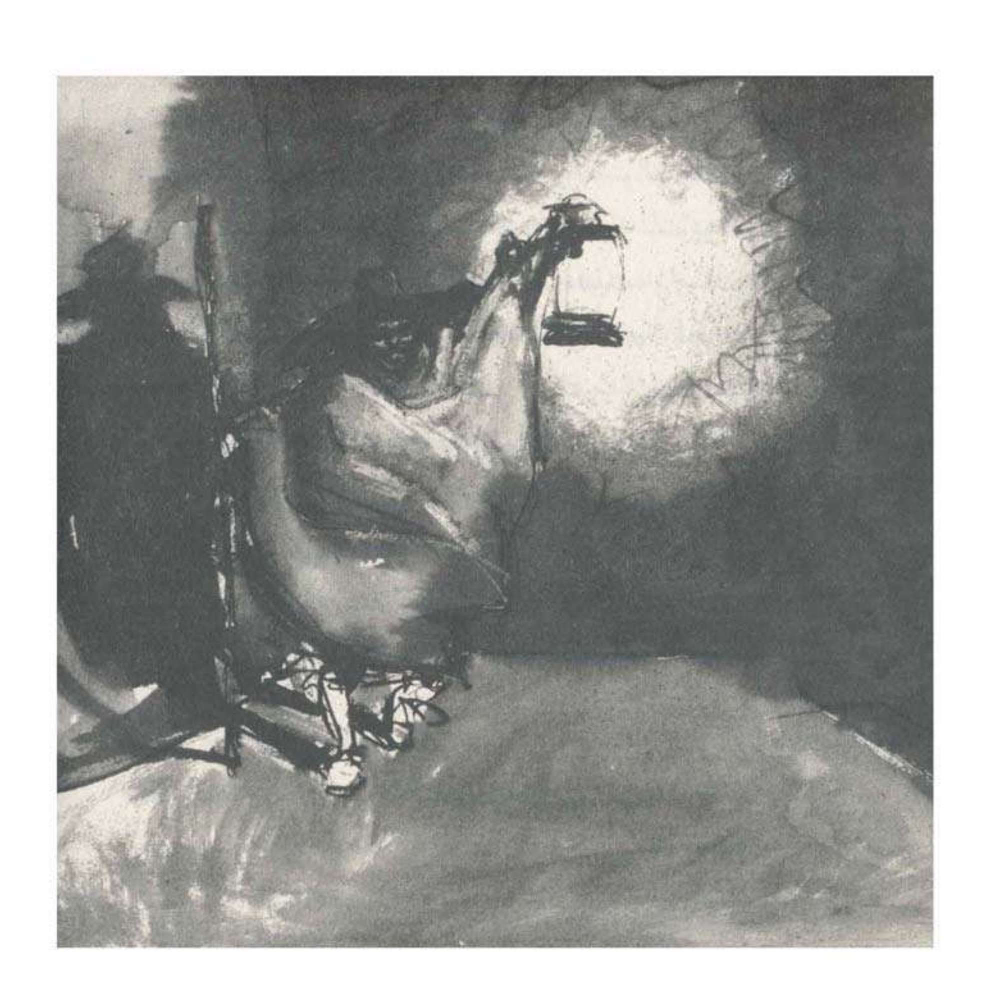
وكل هذه المساحيق تمزج معاً بزيوت نباتات أرضية، احدها الزيت الذي نحصل عليه من بذور الكتان أو الجوز.

## ٢٧ أيلول

اعلـن حارس عن بدء، واعلن آخر عن انتهاء، نَوْبته. فهنالك رجل في الظلام يحمل مصباحه اليدوي ويرسم دوائر ضوئية لآخر في الظلام بعيد عنه وعني. تبدو المدينة نائمة نوم الرفـاه والعدالة، وضمنها ينام اولئك التعساء في السجن والشحاذون واليتامى المشرّدون في الخنادق والممـرات. أنا لا راحة لي ولا زهو. فقد عملت، واصلت العمل، من الساعـة الثانية عشرة في ويستكرك. مـا كان عملاً بجودة ولا بجدية العمـل الذي أنجـزُه عادة وأنا مبتهج. قرأت ما سجّلـه لنا الأسبان: ان قُسـس شعب المَكسيك مزقوا قلوب آلاف من الناس نذوراً للشمس. أثّـرَ فيّ هذا كثيراً وأرّقنـي هذه الليله. بقيت تعذبني فكـرةُ انني، وأنا أهبّ نفسـي للفن، أضحي باطفالي، شـركاء حياتي، على مذبح الفن الجيـد. هي لعنة أن يـدأ الآن تساؤلي. فلا نكران اني وضعت ما أحِب (وتألمت من أجله) في درجة أعلى من أولئك الذين أحـب.

بطريقـة مشابهـة أقـدَمَ ابراهيـم في لحظة، ومن دون تـردد، على التضحيـة بحياة ولده اسحـاق استجابه لطلـب الله، فأمسك بسكينه ليضعها على رقبة اسحاق. في تلك اللحظة، قيل لنا، سُرَّ الله ورقّ قلبُهُ، فأرسل ملَكاً ليوقف يدَ الشيخ الجليل. خشيتُ أن ذلك هو عينُ ما أقوم به، فانا أنجزت الذبحَ وكررته مرات.

لم أُغادر البيت خمسةَ أيامٍ كاملة، أمضيتُها عملاً !



## ٣٠ أيلول

أنـا الآن في الشـارع، بعيداً عن التـاون هول. صبـاح باكر. يوم مائـج. أرسم تخطيطـات أو أتوقف لأقول: كم اتمنى لـو اني استطيع الكتابـة كما استطيـع الرسم، واكون دقيقاً ومقتصـداً كما في الرسم. وأن تكـون الكلمات خفيفة ورشيقة كما في الخطوط. وأن اكون بها سريعـاً أجسّد الحركة والموقـف. عربه، مثلاً، عجلاتهـا تدور، رجل يرفـع قبعته، طفل يتبول، امرأة تنحني الخ. اثبّت واقعهم على الورق! حالهم، جوهرهـم وقلقهم! أعرضه عرضاً ولا اكتفي بذكره. من اين لي القدرة بالكلمات؟

خـارج الـدار، طباشير، رأس معـدني مدبـب، ريشة حـبر تأسر الأحـداث، تمسـك بالاجساد، الوجـوه، التعابير والاشيـاء وبسرعة. الرســم طويل جـداً طريقة. البدايـة فقط كانت مشوّشـه. جاء بعدها الكثير، فلتت مني اشياء كثيرة، فرّت منذ زمان بعيد!





## ٢ تشرين الأول

بعد أربع ساعات عمل، خرجت هذا الصباح، المشّى، أُريح رأسي (الجو رطيب بهيج)، حتى وجدت نفسي في ويستكبرك خارج محلات صنع عدسات لا اتذكر اني رأيتها من قبل. كان الصناعيُّ على مصطبه، أمامه أدواته. استوقفني عمله. وقفت انظر إليه من خلال الباب. لم يبالِ بي، لم تبدر منه أي علامة لذلك. وقفت بصمت. ثم حيّيت الرجل، فوجدته ودوداً يحب الكلام. شُغِلتُ معه في حديث. كنت راغباً في تعلم شيء عن صنعته، هذه الصنعة المهمة في الملاحة وفي كل الابحاث العلمية.

لابد من ثناءٍ عليه، ثناء على طيبته، ولانه راحَ يعلّمني حِرْفتَه أنا البعيد عنه، البعيد جداً وإن كنت اشاركه أشغالَ حقلِه برؤية أخرى وبطريقتي الخاصة. لقد تفضل بمحض ارادته وعلمني بأوضح الطرق. أخبرني

١-ان الزجاج يقطع من حجرٍ أكبر، ثم يوزّع ليُعالج أنواعاً ويُهيّأ حسب الطلب حجوماً وأشكالاً

٢- يُقَطَّع اشكالاً بما يَسمّونه الماسة سوداء، تقطعه محدّبات او مقعّرات، كما يطلبون

٣- قال هونتح: نصقل المنحنيات باستعمال نوع من الطين يصنع من ورق زجاجي ممزوجاً بالماء



٤- تُنَعّم الزجاجات الناتجة

٥- تُحَك بمسحوق طرابلس لتلميعه. ويُستْكمَل بصنع حافات، وهذه تعني الوصول الى نهاية المطلوب وقد تَحقق القُطْر المرغوب به بدقة تامة، كما تحققت استدارة العدسة.

الظن بان الملاءمة بين شيئين يمكن ان تحقق رؤية عبر مسافات بعيدة، عبر محيط، مما قد يكشف إرهابيين من السماء غير مرئيين..، ذلك ليس موضع شك وظنك ذلك في مكانه. فهم اليوم بالعدسات يرون تلكم الاشياء القصية ليس أبعد من ذراعك. يلوحون، او تلوح، مثل تفاحات في غصن. والعكس صحيح، فيمكن اليوم ان تكشف هذه العدسات الحياة الدقيقة للحشرات، وتضيء الكون الخفي في قطرة دم. هل أفكر ان العلم سيكون قادراً على النظر في قلوبنا؟

الانسان كثيراً ما يلمس ويحكُّ عينَه وهو يتكلم، وقد يشكو بُعْدَ النظر. عيب مثل هذا عند شخص يريد ان يدقّق النظر الى العالم، أو أن يعيش، يوجب عليه ان يلبس نظارات.

أمضيت ساعة طيبة هناك، أكثر ساعاتي انهماكاً حتى دقّت ساعة ويسْتَوَر. ينتظرني الكثير من العمل الشخصي وعليّ أن اعود. شاكراً ودّعتُ الرجل معتذراً عن إشغالي لوقته وربما ازعاجه. وان كنت قررت ان اكرر الزيارة. وقبل ذلك الانزلاق في الفراش. هذه الليلة، حدّقت في القدح الفضي الصغير المنتصب على الدُرْج في الزاوية. تمتعت بظاهرة الضوء وانعكاسه ومبادئ البصريات، كما اشار لها اليوم ذلك الرجل الطيب. وقفت هناك احاول ان اتفحص ملامحي كما يستوضح التجار الموج وليل السماء. وانا استمد المعاني من تلك الرموز، نسيت

نفسي تماماً وتأخرت تأخرّاً غير طبيعي حتى دفعتْ هندريكشه رأسها فجأةً من وراء ستارةِ غرفة النوم وتساءلت عما أفعل.

انا ماضٍ في اللانهاية، مازحاً أجبت. وأنـا هناك انتظر اللانهاية. ردّت عليَّ بالمثل. قُلِبَ الحال تماماً. فكرت بذلك واخبرتها بما فكرت. بعدها منحتني واحدة من ابتساماتها وسحبت رأسها من الستارة.

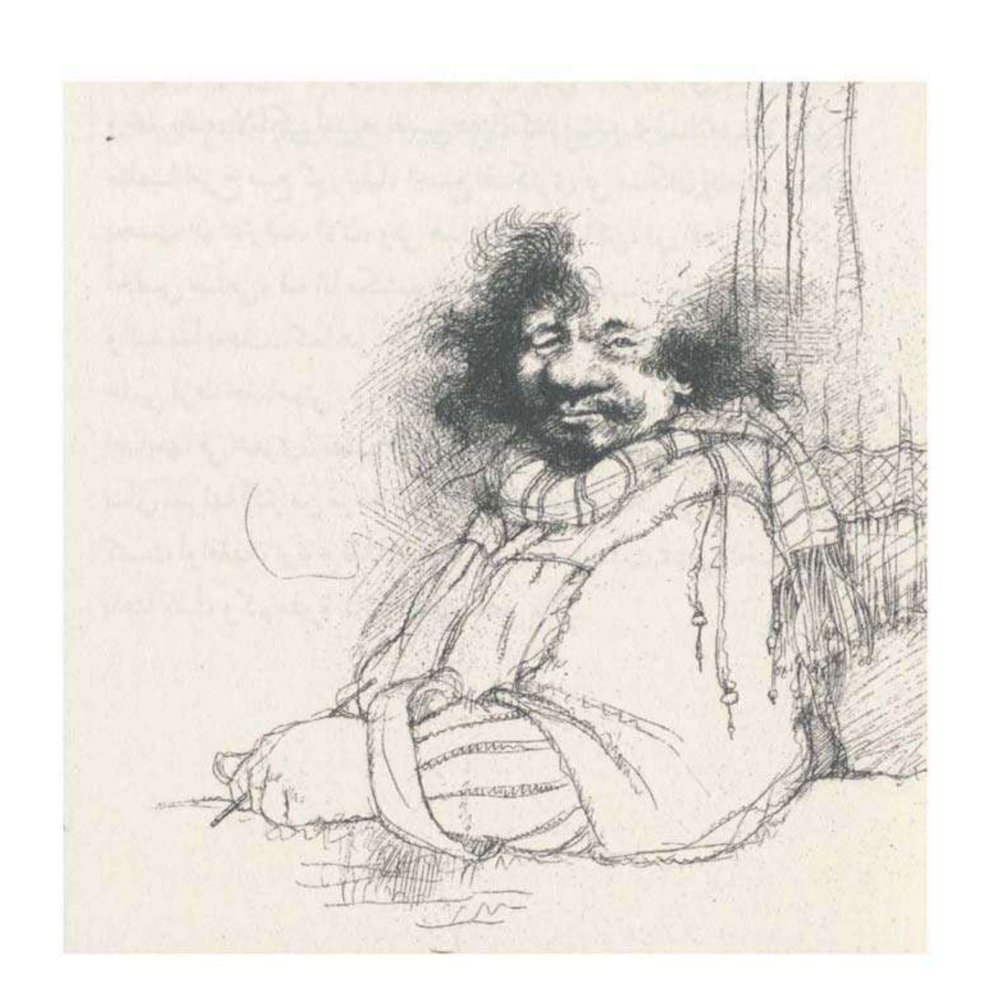
شعـرت بضرورة تسجيـل الحادثة، لكـن ما دمتُ اعـرف ما تمَّ، فساضع قلمـي وأطفيء الأضواء لاستقـر الى جانب هندريكشه. كل الثناء لله هنا و الآن.

## ٣ تشرين الاول

حـين نظرت الى نفسـي لم أرَ غيري. رامبرانـت الفريد والوحيد. ولكن، وانـا ارسم صورتي، تملكني شعور بـاني ارسم جميع الرجال ولجميع الرجال.

## ٩ تشرين الاول

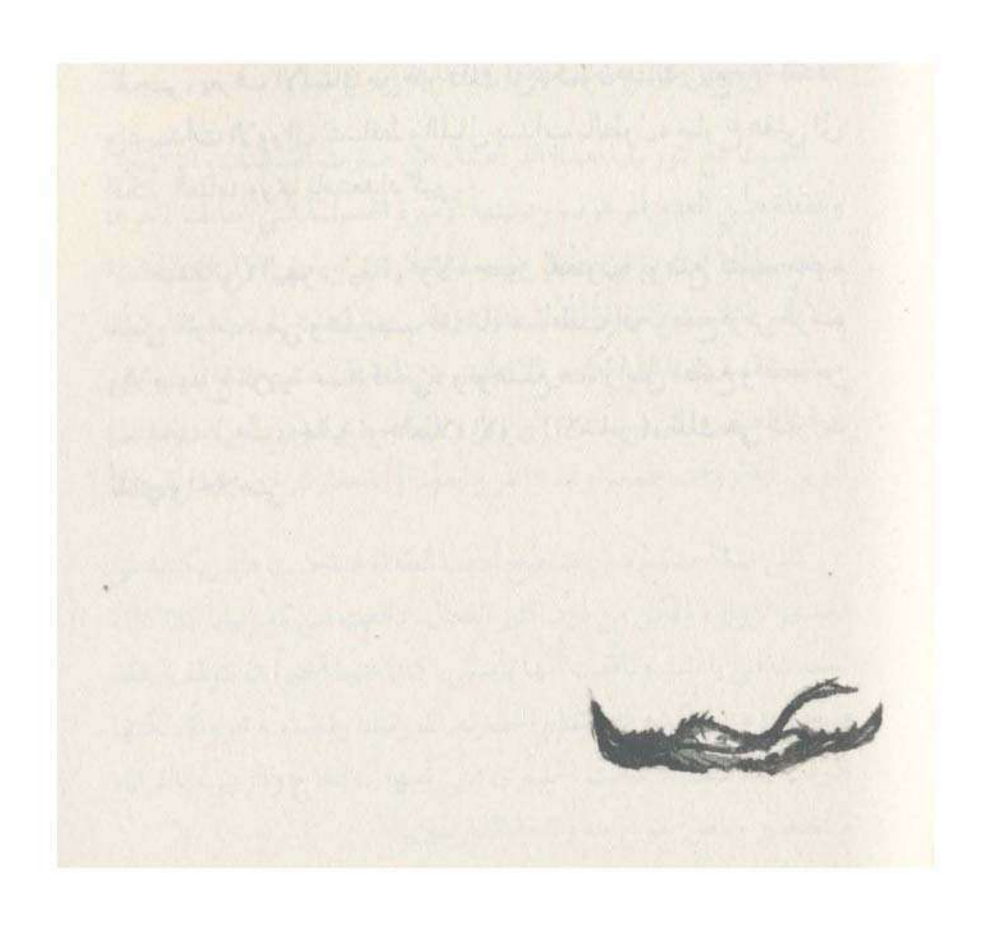
لي مَيْـل لافشاء السر، كما لي دائمـاً مَيْلٌ لتغطية راسي داخل البيت وخارجـه، لا لكي أمنـح نفسي دفئاً، كما يبـدو اول الامر ولا لكي، مثلمـا امزح مـع كورنيليا، اجمع افـكاري في مـكان واحد. ولكن يجـب ان اعترف، الان، وفي هذا الليـل الساكن، اني افعل ذلك لكي أُخفـي صلَعي، فبه انا مكشـوف تماماً. اعلم جيـدا بافتقادي الشعر، وانـه بدأ يخف، كما هو الحـال في عائلتي. ساسكيـا كانت توّبخني علـى فرط حساسيتي. وبالرغم مـن اعتراضي، فهي تصرّ على ان تمرر اصابعها في شعري، تقلّب القش وتدوّره وتلفّ جعداته المتهالكة. أُقرُّ بـأني نَهَرتها أكثر من مرة واني واجهتها بغضب. لكن في اوقات كثيرة كنـت أوافقها، ارتاح لذلك، فقد كانت تفعل ذلك بمنتهى الحب. كم باهتاً كنتُ وكم مثيرة كانت وهي تفعل ذلك.





## ١٠ تشرين الاول

كانــت كورنيليــا منشغلة في تهيأة وجبة الظهــر ومن خلف المائدة كنــت اسمعها، هي وامهــا تنقنقان من دون ان تقــولا شيئا. أنا، كان ذهني يدور حول غبائي اذ جلبت الورنيش قبل ان يجف زيت اللوحة. آســف لأن اقول اني لم أهتــم كثيراً بطبيعة سلوكهــا إذ دفعتُ مقعدي عن المائــدة و لم اتناول بعد كثيراً من الطعــام. وحين استدرت لأمشي مبتعــداً، تعثرت وسقطت. لقد التوت قدماي الواحدة على الاخرى. كورنيليــا صفقت لي بيديها مستغرقــة في الضحك. ابنتَكِ يا امرأة هو كل مــا استطعــت ان اقول. أنّبَتْهــا امها هندريكشــه وساعدتني على النهوضــ. أوضحت كورنيلي ان ضحكها كان فرحــاً لاني لم أُصَبْ بــأذى. لكنها صدفــة اني سلمت، وإن لم تسلــم كرامتي. تيتوس كان الاكــثر استياءً بيننا. ربما بسبب عمره، والحقيقة هي انه شخصٌ صعبٌ غير متسامح. اراد ان يؤكد خطأ سلوك كورنيليا اذ ابتهجت لما حصل وتعلــن بعد ذلك ان فرحها كان لسلامتــي. منحتُها قبلة كبيرة اعادت الهدوء للجميع. كما قمت بمداعبات حكيمة. واذا اردتم الحقيقة، فانا تلقيت عقاباً جيداً على الاتيان بالورنيش، في ذلك الوقت..



## ١٢ تشرين الاول

اليـوم، كل الرطوبة والبرد. هو الخريف وصلنـا، فقد ازداد سعالَ الفجـر، يعرف الانسان من غير ذلك لن يكـون هناك ربيع ولا تجّدد. وإذ بـدأت الاوراق تتساقط والليالي بـدأت بالطول، سارع عقلي الى افكار الفناء، وربما باستعداد كبير.

اصدقائي، اليهود التُقاة، اولاء حـين يُدفَنون، توضع كتبهم معهم علـى التراب، هي ومحارمهم. أما انا، فسأطلب ان توضع فِرَش الرسم والاصبـاغ الزيتية عنـد قدميّ، وتوضـع عند رأسي قطـع واسعة من قماشات الرسم، خالية او بالطلاء الاول (الاساس). تلك هي شارات تُقاي واخلاصي.

## ١٨ تشرين الاول

أمطرت طوال الليل. ما استطعت مغادرة بيتي. افكر احيانا بانا جميعاً سنُكتَسح يوماً مثل اخشاب تطفو فيأخذها الموج.

لعبتُ مع كورنيليا لعبة القراصنة. هي صارت القبطان وانا البّحار والقطة هي العدو المرعوب ودميتها الاميرة الجميلة التي انطلقنا لاسرها وانتهينا الى الوقوع في حبها. استعملنا الكراسي وبعض الالواح الخشبية والأطر المكسورة سفينةً لنا. شددنا شرشف مائدة قديم الى مكنَسة ليكون صارية لسفينتنا التي تكنس الانجليز من المحيط.. كم بعيداً أبحرنا في غرفتنا الصغيره، الى نيوبتافيا والبرازيل والى الصين وجزيرة العرب وساحل البربر. أية ثروات جمعنا واية مخاطر واجهْنا وأية معارك خضناها وكسبنا.

كفى ما أحدثتم من ضجيج أيتها الطفلة صاحت هندريكشه من احدى الزوايا، ولكن من دون كثير انفعال. دافعت عن كورنيليا كلا كلا، ليست هي يا أنتِ وتأفّفت أمُّها بأسى. كان علينا أخيراً ان نتوقف. فقد طبخت هندريكشه غداءنا واحضَرته. كورنيليا رفضتْ محزونةً، لكنها اشرقت بعد ذلك اذ لمحتِ الحلوى التي تحبها.. التفاح والزبيب بالفرن، وبتحضير خاص تفوح منه رائحة الدارسين.

أما أنا. فقد اخبرتها باني شعرت بدوار البحر فما استطعت الاستمرار في الإبحار، واني سعيد بالعودة الى اليابسة والى طبخ البيتِ الطيب مخلفين وراءنا مدى الملح اللانهائي والبسكت التالف العتيق.



## ١٩ تشرين الاول

نهـار طيب وفـير الضوء، لكنه مقفـر. وبالرغم مـن اني فعلت ما استطيـع لأُخفـي مزاجي عمن حولي، فـإن مشاكل النقـود تكوّمتْ ثانيـة علـيّ، فاسودّت منها افـكاري. تذكرت كيـف التمّتْ من قبل تمامـاً مثلما تلتم اليوم، وفي نهـار ضوءُه اصفر واضح مثل هذا النهار، تختفـي فيه خطوط وحجـوم الكائنـات والاشياء (الـدور، الخيول، عربـات الحمل، الرجال والنساء...) فهـي لاتقف مقابل الضوء لكن تبدو غرقت فيه وتطفو مشبعة به مثل قِطَع خبز في إناء كبير من حليب. كمـا ابعدتني عن عملي قضية مكـدرة مشابهة ذات صلة بشحة المال في يـدي، نتيجتها نفاذ صـبر الدائنين وتصاعد سـوْ تعاملهم. كم من الزمـن مضى على ذلك؟ سنة؟ عشـر؟ الشهر الماضي؟ يبدو ذلك اليوم في الابـد، مثلما يـبدو كأن حـدَث البارحـة. اشياء كثيرة تبـدأ الآن بالظهور وبالطريقة نفسها. انه العمر، كما اظن، وان كنت لا اجزم ان السنـوات هي المقياس الوحيد. فاشيـاء طفولتي، شبابي، تبدو لي كأنْ ظهرت تواً وطازجة استعيدها، بينما لا استطيع احياناً، في هذه الايام، ان اتخيل ما قد كنت أفعل قبل ساعة. لماذا أجدني لا استطيع ان اتذكر مـن الليلة السابقـة غير الطعام الذي تناولت؟ ذلـك طبعاً بسبب لطخ الطعام الباقية على واجهة قميصي.

احـاول الابتعاد عن قصة اموري الاقتصاديـة. لكن، لسوء الحظ، لا امـل في نسيانها. ذهبـت، الى مبنى محكمـة انسولفيس، تصحبني كورنيليا وتيتوسـس. وقفتُ تكلَّمَ مدير التنفيـذ في الموضوع، وبهدوء

شديد وافقته خشيت ان اهيج النار ويتصاعد منه الشعور الكريه بالاهمية لكن هدوء الرجل أثلجنا. لقد أطال قليلاً، لكني، أمانةً، قلّما أصغيت. فقد كنت أكوّن عملاً في ذهني، عبرَ حقل وأشجار طويلة في الريح، تطفو في ضوء يأتي خلال اكداس من غيوم سود، وتربة داكنة مثل جبين القاضي. لهذا أتيت بهندريكشه وتيتوس معي، ليكونا أذنيّ. لا وقت لي لمثل هذه الامور، ولا قدرة تَحمُّل. لبّ الموضوع اني حُكِمْتُ بعدم الايفاء، فيجب لذلك أن تُستوفى مني الحقوق المالية وما يترتب على ذلك. على اية حال لن أُظلَمَ اكثر بعد اليوم، كنت واقفا بين هندريكشه وابني تيتوس، اللذين كوّنا لهذا الغرض، شركة من المتعاملين بالفن.، فهما يتعاملان معي في الامور المالية مثل رؤسائي، وانا اعمل عندهم. فهما يدفعان ما احتاج كما هما يرفعان ويتحكمان في المبيعات.

وتقديراً لديوني، صدر الامر ببيع داري في بريسترات وكذا محتوياتها التي اشتريتها انا وزوجتي الحبيبة الراحلة ساسكيا) وحيث عشت وعملت واحببت مدة عشرين سنة وولد في تلك الدار اطفالي، ثلاثة منهم ماتوا فيها، ولد وابنتان (كورنيليتان أُخريان في ذاكرة امي)، تبعتهم زوجتي الحبيبة بعد أقل من ثلاث سنين، ماتت على السرير الذي كنت اشاركها فيه. لابد من القول ان هندريكشه وتيتوس (الذي ورث الكثير من امه ساسكيا، فهو يومياً، وبطلعته واساليبه يذكرني بها). اقول، هندريكشه وتيتوس لم يعودا كثيري الطلبات ولا متشددين مثل الاثرياء يتعاملون معي في الماضي من اصحاب الثراء وملاك الارض. وانا الآن تماماً مثل طفل وثانية تحت رعاية الاكبر مني.

لا أقول اني: لم اكن قد تحررت في اعماق قلبي. ففي الحقيقة انا لا

افهــم معنى النقود. ثم اني كسبت منها الكثير فترات طويلة. أوَ لم اكن اكبر رسام في الاراضي المنخفضة؟ لكن الشكل الفني ينحسر ويجري وقد ينحسر مرة اخـرى. لم أتصرف بحكمة في حياتي. كانت النقود تبـدو مثل جدول تطفو عليه الاشياء التي أُريـد - بعضها مُميت ولكن جميـل! بعضها مجرد لطيـف ووليد رغبةٍ آنية -هكـذا كانت نفسي. وهكذا جرت النقود كالماء من بين اصابعي حتى يبست يداي.

مثـل هذه الافكار وضعتني في حال مـن السوادوية لكني بسعادة أمضيــت بعد ذلك ساعاتٍ من العمل المسائي. اعادت ساعات العمل هــذه توازن النهار. فيا لهذَا الابتهاج الـذي يغمرني الآن. فليس جيداً طبعاً أن امضي الى الفراش يصحبني ذلك الشعور بالمرارة.

## ٢٣ تشرين الاول

هذا اليوم، وانا في الشارع، شعرت بجوع شديد. رأيت امرأة تبيع فطائـر، كان يحدثها رجـل وهي مستغرقة في الضحـك. نوبات من ضحـك خشن متعاقبـة ملأتني بالقرف. كانـت في كل نوبة ضحك جديـدة يلتمع ويـرتجّ وجهها وعيناهـا وهي ترد رأسهـا بسماجة الى الـوراء كما لـو انها تخـاف ان تتلقّى ضربـاتٍ من الرجـل امامها لا كلمـات فـرح. مؤسف اني كنت بعيـداً فلا اسمع مـا كان يقول لها. رغبتي كلها كانت بان احصل على واحدة من الفطائر التي تبيع. لكنني اخـيرا اشتريت واحدة من بائع يدفع عربة يـد بعيد عنها. ثم واصلت سيري لزيارة صانع اطارات جديد وصلني اخيرا كلام طيب عنه.

كيف أقتبس لون البذاءة؟ اكيد ان فرانس هالز هو من يعرف.







## ٢٩ تشرين الاول

دفعنـــي فضول لأن ازور الاسد. فلِقاء بضعة قروش يمكن مشاهدته في عرضٍ في المدينة. هذا هــو الاسبوع الاخير، رجــل استعراضات محــترف جاء به من قبطان نقله مــن افريقيا بسفينتــه. أُشيع عن الرجل انــه يعامل الاسد كمــا يتعامل مع دمية. وانه لا يظهــر امامه خوفاً ولا تهيّبــا اكــثر مما لو كان بقرة أو عصفوراً. مــاذا كان حال البحارة معه؟ لا ادري. هــم مثلنــا نحن سكنة المدن لم يعتــادوا على رؤية اسد حي. كان الاسد محتجزا في عربة حولها اطواق حديدية متينة لتحمينا منه أم لتحميه منا؟ هذا ما يصعب القطع به.

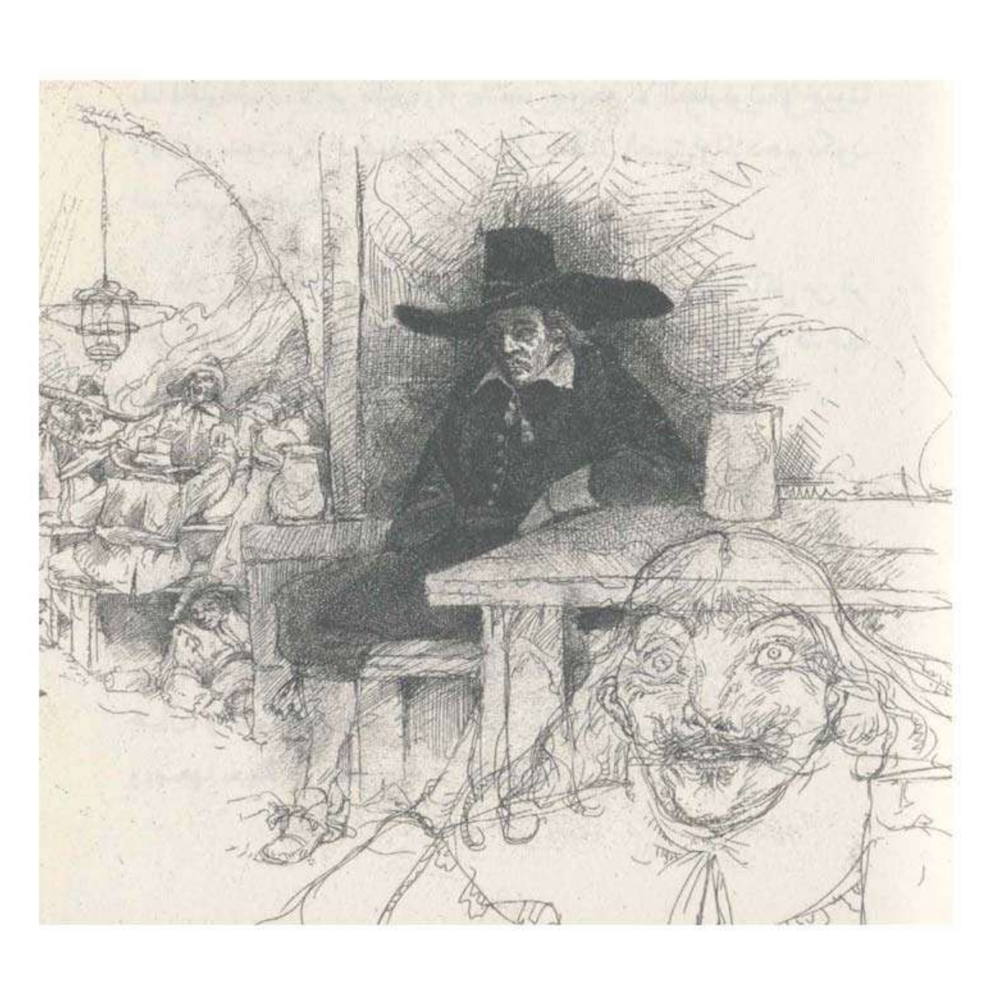
فمــع ان نصــف المتجمعــين يحدقــون في بلاهــة وصمـــت، كان الاخرون منهم يبدون اكثر صلابة وربما اكثر سفاهة، يشجعون انفسهم بمــا يشربون. ولثقتهم بالسلامة، كانوا يمــدون اوجههم اليه ويتلفظون بلغو عال. وكلما اهملهم، صعّدوا من خشونة اصواتهم واستفزازهم غير عابئين بهياج صاحب الحيوان او بنصائحه. هذا الحيوان المفروض به ان يكون ملك الحيوانات، بدا بعيدا عن امتياز الجلالة. على العكس تصــرّف بارتبــاك وبخجل شديد، حتــى انه لم يبالِ بكتلــة اللحم التي القوهــا اليه. لقــد جاؤوا له بحصان مذبوح، فلم يُبثِرْهُ ذلك. لكنه في الاخــير قطع لامبالاتــه، ربما تذكر مجــده، فرفع طرفــه الامامي ورفع نفســه وألقــى زَأْرَةً ضاريةً مفزعة. فلزمنا الصمـــت جميعاً. لقد ملأنا الرعب (ليــس النساء وحدهن والاطفال). انــا ايضا نلت حصتي من الخــوف. الاعتراف مطلوب في مثل هــذي الحال. لكن الاسد يعرف

انه مسلوب القوة، وغضبه ليس غير واحدة من حركاته الاستعراضية. فقد التمّ بعد ذلـك عائداً الى مكانه، ساكناً بصورة تثير العجب، حتى لقد بدا مستسلماً بل حتى عطوفاً. فهل سُحِبَتْ أنيابه واقتُلِعَتْ مخالبه، فمـا عادت له سطوة وما عاد بحاجة الى مَـن يسيطر عليه. الحقيقة ان الجماهـير ألجَمَتْ سلطاته.. هنالك طريقة اخرى للنظر الى القوة. فقد كان الحيوان يبـدو وراء ظروفه الحالية، ظروف المهانة والاسر، مايزال يحتفظ ببعض سليم من ذاته. بعض من نفسه لا وصول له. ذلك الجزء منه غـير خاضع لسيطرة، وهـو ما يزال يطوف متحـرراً ومزهوّاً، ما يزال هو نفسه.

لنتذكر:

لمعة التوحش
في المربع المطوّق ذي الأشجار،
عيني الاسد الصفراوين اللاتُقَرآن،
اللحم، طعام الاسد الاحمر
والعظام البيضاء الملتمعة خلال اللحم
رجلَ العرض ينخس الاسد
من بين القضبان
قساوةَ الانسان الطبيعي وخوفه
ونفسي التي احتوت على هاتين الصفتين.





## ١ تشرين الثاني

في الليلـة الماضية رأيت رجلاً في حانة. كان في وحدة عميقة حتى بدا فاقدَ الحياة. لاشيء يُثيره، أو يلامس روحه. لا الشاربون الآخرون ولا المعربدون ولا الموسيقى (وفي ذلك المكان الضيق والمزدحم تكون الموسيقى صاخبة).

كان وجهـه عاريـاً كعظم ميتٍ من زمن طويل، وقـد تآكل من اثر الحزن والوحدة. لقد التمّ جسَدُه داخل جلده. ظلت جعتُهُ في قدحها لم تُمسّ، حتى استوى اعلاها.

بعـد حوالي عشريـن دقيقة، دخل رجـلان آخران وقـد اتضح انه يعرفهمـا. لاول مـرة بدَرَتْ منـه حركةُ حيـاة. رآهما، رَأَيـاه. عدّل جلْسَتَهُ وأبدى اهتماماً. فكأن مجرد حضورهما قد أعاد إليه الحياة.

لم يعـد عظْماً، صـار لحماً. حيّا بعضهم بعضـاً، ضحكوا بصوت عـال، وطلبوا شراباً جديداً. كل الوحشـة ارتحلَتْ عنه كما يخلع قبّعةً ويضعها بعيدة عن النظر، تحت المصطبه!

## ٣ تشرين الثاني

نحتـاج الى مسامير لخامات الرسم، نحتـاج لأصباغ زيتيه نحتاج لشموع من شمع لا من شحم. نحتاج الى يد أقوى وقلبٍ أنقى.

## ٥ تشرين الثاني

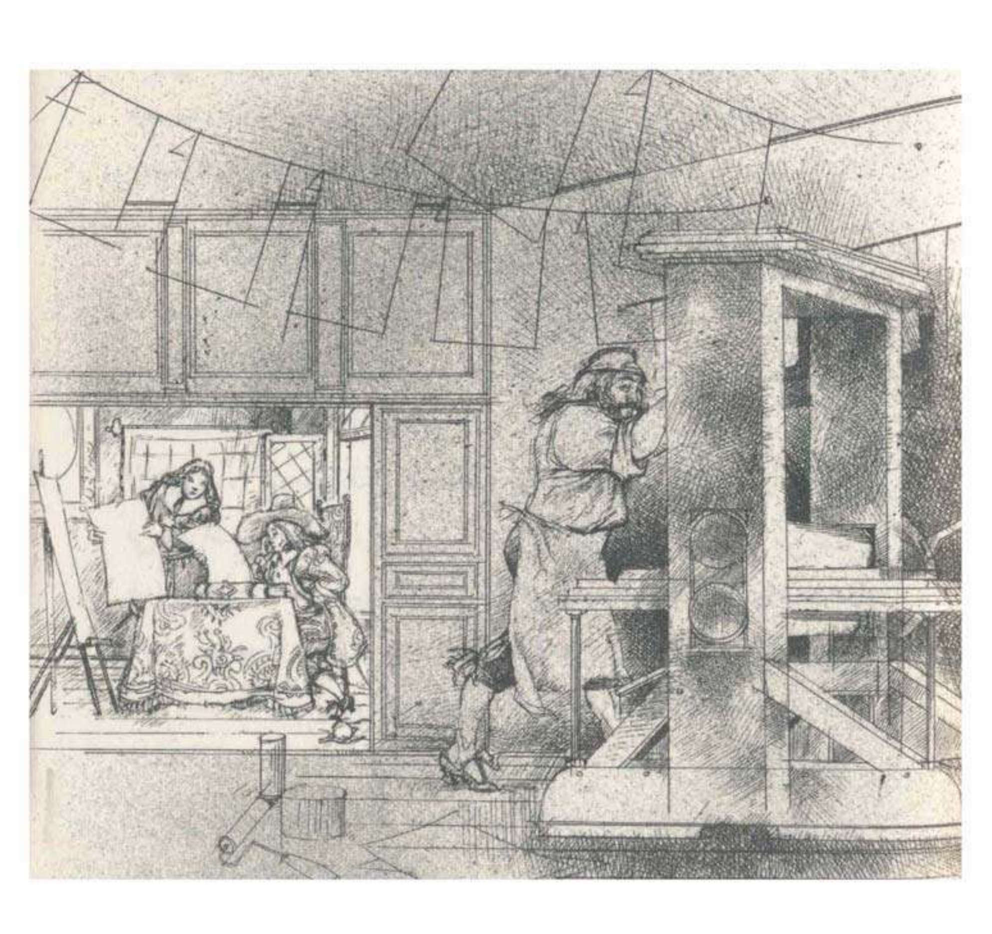
هذا الصباح، ذهبت الى جونخي بائع اللوحات والصور المطبوعة. ذهبت الى مخزنه حيث البيع حام. صور لمشاهد طبيعية، صور مؤسسات، صور حياة ساكنة، مشاهد دمار وتشكيلات روحيه. قلاع، كنائس وجسور وما أشبه، تلك التي أنتَجها جان فان دير هاندن المتخصص بالمباني العامة، بخاصة قاعة المدينة الجديدة. ما يزال يبيع جيدا والطلب يتزايد على صور المباني القبيحة.

بصراحة، بصراحة، فان ديرهايدن، بالنسبة لي، أفضل مالياً في نشاطه الآخر، اعني في ابتداع وسائل لاطفاءِ النيران !

كل هذه تظهرُ تولُّعَ ابناء وَطنَي في منازلهم. فرحتُ برؤية مطبوعاتي تُباع باسعار طيبه جداً. سألني دير جونخي: متى أسمح له بكلائش جديدة يسحب عليها. لقد بدا متلهفاً لبضاعة جديدة مني. أوضحت له بان ما انجزته أخيراً من الكلائش قليل لاني اريد ان أواصل الرسم بالزيت في هذا الوقت. قال: مؤسف، فمطبوعات لوحاتك تُباعُ بلذةٍ وسرعة مثل الكيك.

أجبته: والأسنان المُحبّه للحلوى تضع في محفظتك ذهباً أكثر مني، ايها الصديق العزيز. تَقَبَّلَها بقلبٍ طيب. هو رجل طيب فعلاً.

مُتْعَبٌ جداً من هذه الأيام الرمادية التي تبدو أبديّةً لا تنتهي..



## ١٠ تشرين الثاني

أصابتني حمّى خفيفة فمكثت في الفراش تحت إصرار هندريكشه. ألمّ في أطرافي. سبب ذلك اني بقيت أمس طويلاً تحت انهمار الماء، ثم ذهبت مباشرةً للعمل من غير ان أغيرّ ملابسي المبتلّة بأخرى جافه. حسناً ان هندريكشه لا تعرف السبب.

وأنا أنضح عرقاً تحت أغطية الريش الكثيفة، احسَسْتُ اني كمثل مرجاً حكمةُ مُدَثَّر.. الاشياء تطفو في رأسي وخارجه.. أفكار، صور، خيالات وأنصاف أحلام، هذا وأنا لستُ نائماً. جاءتني ساسيكا، واضطجعت ثانية الى جانبي مُشِعّةً لألاءه، كم مرة شاهدتها بهذا الإشراق.. كم مرة تذكرّتها هكذا، بهذه الصورة.. لماذا أنا، أنا اليوم، في الفراش احدثها، في مرضي هذا الأخير؟ متى سأتمكن من عمل شيء أكثر وافضل من تلك اللوحة التي رسمتها لها؟ يداي ما عادتا بقدرة ونعومة يدَيْ ممرضة، وعليَّ أن أعمل بهما لأعبّر لها عن حبي. دع اولئك الذين يقولون بأني لا احمل لها مثل ذاك الحب في مثل هذا الوقت. (هناك كثيرون تهامسوا بهذا الكلام ونشروه). ليعلموا ان قلبي طافح بالحب الموجع وأشعر بما يجب أن أفعل من أجلها. كم تَخزُنِي تلك الذكرى. جريمتي.

هنالك وفرة من الماء لتخيّلاتي التي تطفو كما على مجرى. مياه في كل مكان، تنزّ عبر التراب، خلال شوارع المدن. ولكن ليس لي منها شيء، انا المتعطّش لها والمُتّقِدُ والذي يترجّاها..

هندريكشه أرسلت تيتوس حوالي الحادية عشرة ومعه نقيع لأشربه. شربتــه ونمت. استيقظت حوالي الثانية منتعشــا و توجهت الى العمل، مُقَدِّراً اني خُدِمت ما يكفي.



## ١٩ تشرين الثاني

اليوم وصلني بلاغ من رابطة الصناعيين، اولئك الفضوليين، الغربان الكريهـه. يبدو ان الامر يتعلق بفشلي في اطاعة أمر يمنع الفنانين الذين أفلسوا، مـن العمل التجاري. لقد حملوا البـلاغ، اندفعوا إليّ به بعد علمهم بافلاسي. انا، ببساطه، لن اناقشهم، تيتوس وهندريكشه عادةً يتقدمان (حين اكون صبوراً أو عنيداً..). اوضحت بحزم وايجاز اني أصوليّ في عملي معهـم مادمتُ لا أتعامل في التجارة باسمي. لكنهم لم يقتنعوا ورفضوا وهنـا تصاعد مزاجي وصحت بوجوههم: سوف أرســم! ولا تستطيعـون إلا ان تعودوا وتسقط حطامـاً قواعدكم التي تضايقنـا. والآن اخرجـوا ودعوني بسلام. وأهلـت عليهم الكثير من الكلام الفجّ المليـء بالشتائم، ثم طردتهم جملـةً. الحقيقة أن زوجتي وابنـي منعـاني من الانطلاق وراءهـم والاشتباك معهـم بعراك. كنت هائجـا غَضِباً، ومع اني هدأت هذا المساء، فمـا تزال تؤلمني الذكرى. أي وقاحة لهؤلاء الذيـن يُسَمّون ممثلين للقديس لوك، نصير الرسامين والنقّاشين ومجلدي الكتب وصانعي اوراق اللعب!

لا يقل احد اني ضد قوانين النقابات أو الروابط، فانا رسمت أخيراً لصانعي الأقمشة وأنا ممتنٌّ لما دفعوا من أجور.





## ٢٦ تشرين الثاني

مــن نافذتي كنت اراقب بواكير الثلج. حمداً أني داخل البيت. كم صعباً على أولئك الذين لا سكن لهم. لليهود عادةُ استدعاءِ غريب من الشوارع ليشاركهم وجبة السبت. سأحاول أفعل مثل ذلكَ.

عيــد الميلاد القــادم ادعو رجلاً مشــرّداً، مواطناً محرومــاً ليشاركنا الدفــء والبهجة.

في أقل مــن ساعة، كسا الثلجُ العالَمَ بالبياض مؤكداً حقيقة الشتاء. جعلنــي حســوداً متشوقاً. لا استطيــع رسم العــوالم المحيطة بي. مع بيضتين، السردين المملح في الصحن على مائدتي، الخبز الاسمر والجبن البرتقالي والنبيذ والعسل والعصائر ومَخفِيّات جسدي، الدموع، المني، العرق و البول والاقذار تحت اظافري.

لــو أُزيحِ الشحم المكدس عن قفاي وكتفيَّ بالمضخة واضع اصباغ الرسم بديلاً عنها.

وقبــل كل هذا، لو أرسم قرمزَ دمِ الحيــاة فيَّ وبريقَ حدقتيَّ لأنعش ابداعي بمزيج حقيقي حي.



## ٢٨ تشرين الثاني (يوم الاحد)

هذا اليوم شكوت مالوماً لهندريكشه: أن قد أصابنا الفقر، وسنعود قريباً الى الشوارع مرةً أخرى. وسنشحذ هذه المرة.

صرخَتْ: لكنك، ما يزال لك طلاب وأنصار، وانك تكسب الكثير، وديونك تحت السيطرة.. يا رجل، لديك نقود!

أجبتُ محتدّاً: لكن، ألا ترين اني لا اشعر باني املك شيئاً؟

آ...خ !!

## ٢ كانون الأول

كتبت اليوم رسالة أرجو فيها (آه، أي مَذَلّة) دفْعَ ثمن لوحة أنهيتها وسلمتهـا قبل عـدة أشهر! واضح من هذا ان الحـزم فقط في ان تدفع ما عليك من ديـون لهم، اما أن يدفع التجـار الارستقراطيون ديونَك عليهم، فذلك ليس مطلباً أخلاقياً!

هـذا مـا عرفته جيـداً من تجاربـي ومن أول يـوم عرفـت التعاقد وتعهـدت بتسليـم الأعمال لهم. فإذا لم تسلمهم مـا تعهدتَ به، فقد انتهكـتَ الوصية الحادية عشرة– انتاجك ملـكُ سيدِك ولست مالكَه ولا هو في حوزتك. وحين يكون الحذاء على القدم الاخرى لا يكون عدم تسديد الحساب خطيئة. هذا يختلف عما في ايطاليه حيث الفنان يُحْتَرَم ويعامل كمثل أمير. هنا ينظرون للفنان نظرتهم للحلاق وصانع الكراسـي او للفتاة التـي تسوّي ياقات الرجل الـثري. وهكذا، فكل مهمـة الفنان هـو أن يؤدي الواجب الـذي كلفه بـه الله للارض، أن يعـزِّز الدولةَ ويزّين الأثرياء ليسعفوه ممـا بسلطانهم. تلك هي وحدها مكافآتهم له. تفضُّلهُم عليه بنفوذهم.

كانـت هندريكشه غاضبةً جداً من كتابتي لتلـك الرسالة. فأنا بها سأثـير عاصفة في مكتب قروض ميهجـر وستدخل هذه العاصفة الى داخـل غرفة نومه إذا طالبته بمستحقّاتي. ثـم اننا اتفقنا على ان تكون مثل هذه الاعمال ضمن مسؤوليتها ومسؤولية تيتوس، وحسب العقد المـبْرم بيننا علـى ذلك. أنا بالرغم مـن تلك الاتفاقية، لـن اسمح لها.

سوف تذعن بعد كثير من الاصـرار من جهتي وبعد الدفاع والغضب واتهامها بالكبرياء الزائفة.

قلـت لها هل يرضيهـا أن اقول: ايمكن أن أتشـرف بسماحكم لي بالرسـم استجابةً لاهتمـام سيدي المجيد المكـرّم...؟ و أتوسل إليكم بـان تسمحوا بان أبقى خادمَكم الضئيل غيرَ الجدير باسمكم..! وكل باقـي هذا الاطناب الفارغ الذي هو بعض من ديكورات الحياة الزريّة والتنظيمـات الزائفة لسلطان هـذا العالم.. حتى صـارت امثال هذه كمثل الكواكب في القبة الزرقاء، صارت بعضاً من ارادة الله.. التمّت هندريكشه واصابها القرف مما سمِعَتْ.

طبعـاً انا لا أعني كلمة مما قلـت. جُمَلٌ مثل هذه وانفعالات كهذه تمـرّ بي خـلاف مزاجي ورغبتي فانا لا اعتقد بنظـام للكون كهذا ولا يمكـن ان اؤمن به واخضع له. لست وضيعاً، سامحني الله إذا كنت غير جديـر بفني وبنفسي وباولئك الذين أحب، لا بأولئك الذين يخلفون وعدهـم، المتجاوزين على حقوق الناس، مـن ذوي الاكمام المطوية، من البارونات والتجار!

أطيـبُ وأحبُّ صديق، روّحَ لي بجناحيه هذه الليلة. فأزاح العبء عن روحي. لقـد رآني مألوماً، فنفخ فوق الألم الذي أثقل قلبي وأزاح الهـم. تكلمنا معاً وعملنا. لكن الصديق ارتحل. الآن لا أستطيع النوم. قريباً سيشرق نهار جديد.



## ٣ كانون الأول

صداع موجع. مرض وارتجـاف. لا ليس إفراطاً في الجنّ أو الجعة ولكنــه افراط في استنشــاق الاصباغ الزيتية. مهمــا وسّعتُ من فتحة نافذة غرفةِ العمل، تبقى الرائحة ثقيلة لا تبرح.

أفكّر بهذا دائماً وأحــذّر الزائرين من الاقتراب كثيراً الى اللوحات خشيــة ان تزعجهم الرائحة لكن بعضهم يــزداد قرباً، ويفسّر كلماتي بانها إهانة مُقنّعة، وشدة غطرسة مني.



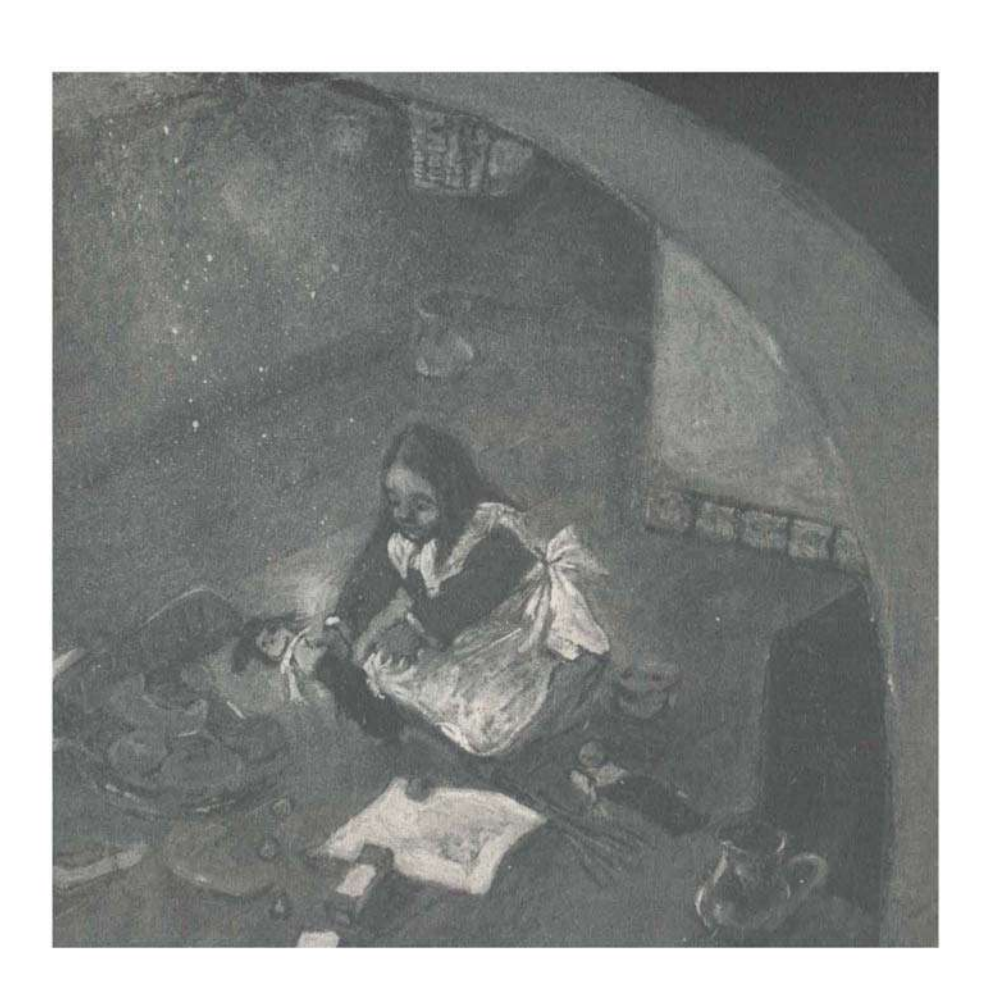
## ٦ كانون الأول

يومٌ آخر مضى من ايام القديس نيقولا. امتلأ حذاءا كورنيليا اللذان وضعتهما بفرحٍ طاغ أمام النار.

نحــن، اخذنا الجَزَرَ الذي وضعته لفرس نيقولا وتركنا مكانه قطَعاً مــن كعك وقطعاً خشبيــة مصبوغة وقطعةَ خبــزٍ قطعناها بشكل يشبه كورنيليــا ورسماً لقطة، كنت قــد رسمتها لها، ودميــةً اخرى وبلبلاً صغــيراً جميلاً ملفوفاً بقطعــة قماش حلوه، وطبعــاً غصينات صغيرة طريــة ليضربهــا بهــا نيقــولا في الطريــق. سيحمل بيــتر الاسود ذلك الكيســ، لكنه سيعود بها إلى اسبانيــا إذا أساءت التصرف في الطريق. وقد وعدت بحماســة وتأكيد الاّ تفعل. كان يوماً حقيقياً بالنسبة لها. وقــد نظمتْ أبياتاً قرأتها علينا كما أعدّتْ بعض الألغاز، التي علينا أن نحزرها..

هندريكشه أرادت الذهاب للكنيسة، ولكنها مُنعَتْ، لم تستطع.. لــذا رتّلنــا جميعاً بعضــ الصلوات. ترتيلنــا الجماعي لَطّــفَ مزاجها فمضت تلعب مع ابنة صاحب الدار بينما رحتُ اكشفُ مزهواً هدايا واحدهم الى الآخر.

بعدهــا، أمضيت ساعــاتٍ مثمرةً مــن العمل الجيــد وراح تيتوس يطحن كمية من الالوان، فنحن قد بدأنا نفلس..





## ١٩ كانون الأول (الاحد)

الايام مثل بيضة صغيرة من ضوء متجمد في منقار نسرٍ هائل.

مباركون هم صنّاع الشموع، لانهم يجلبون الرؤية والسلوى.

نحن نضع شموعَهم في اواني فيها ماء لتنشر انعكاساتها مدىً أوسع من الاضاءة. نتناول طعامنا اليوم مبكرين. النار في الغرفة تضيف من زاويتها وهجاً بهيجاً. تكلمنا قليلاً هذه الليلة. حتى كورنيليا أُسكِتَتْ فتوقفت ثرثرتُها. لقد أخافتنا قوّةُ هذا الضوء، انها معجزة النهار في الليل.

بعد الغداء طلب مني الأطفال أن أقرأ لهم في الكتاب. وفعلتُ كما فعل والداي، وسمعت صوتيهما في صوتي، وكذا والداهما ووالدا والديهم ينفخون ويدفعون بكلمات الأمل قوية تأتي مثل لهب في الظلام، أحاط بنا ضوء الشموع، أقام سداً يبعدُ عنا الظلامِ.

بعد ذلك، وبالرغم من ضراوة البرد، انجزتُ عملاً. وانا أعمل، فكرت كيف اني ابدو، مع آنياتِ أصباغي، أشبهُ الشمعة. فكلانا يجهد ويكرر الجهد في طلب الضوء من الظلام، كما يفعل ابناء ريفنا إذ يطلبون الارض من البحر. احسست احساساً حقيقياً بأن عليَّ أن التحم بفرشاتي، من دون فكاك، مثل أولئك البنّائين الذين يقدّمون المعاول وشفرات التسوية والمساحي ليخلقوا حقولاً خصيبة أو ليهيؤا جزُراً أكثر يشيدون عليها مدينتَنا العظيمة. أعمل، ماضيَّ وحاضري، وبكل جهدي الابدي الذي لاينثني، أعمل!

## ٢٢ كانون الأول

وقفــت خارج السوق، جــوار أودكيرك أحب النظــر الى الوجوه هناك، والى التجار تصحبهم زوجاتهم ذوات الرقاب الغليظة المتلامعه والألسُــن السريعة التي يراهــا البعض قاطعة. هنالــك السيدة العجوز في الكشك حتــى في أرداء طقس. الساحة مــلأى بالتعساء والعميان والمقعديــن والحدُب والشحاذين. ذلك تحــد لانظمة آباء مدينتنا. أرى واحــداً يحمل أكبر لحية رأيت، هي كثيفة طويلة رمادية. فكرتُ لو انه يعمل موديلاً لرسم فخم، المني عمله لأمير في قصة توراتيه. طلبت منه أن يأتي ويزورني. كان متردداً في البداية. لكن حين قلت له انه سيحل في مــكان دافيء يحميه مــن الايام البــاردة فضلاً عن إنــاء من الحساء الساخن، وعَدَ بانه سيفكر بالامر. آمل أن يأتي، مسكين هذا الرجل.

لكن هناك الكثيرين من امثاله..



## ٣٠ كانون الأول

مادامـت السنةُ تسحــب بابَها لتغلقه، دعني إذن أُقــدم تقريراً عمّا انـا فيه. جسمــي تراخيٍ، هذا أكيد وهو متهــدِّل. لم يعد مشدوداً، لا قدرة لي على الانحناء، أُحَسّ بوجع، بجفاف و كدر مثل ذلك الصبغ الساقـط علـى ارضية غرفـة عملي. هكذا هــو التقدم بالعمــر. أليس كذلــك؟ أَوَ لم أُتعِبه دائماً وأُرهِقهُ حتــى في شبابي؟ الحقيقة، أشعر اني كنت اتهيّأ لمثل هذا منذ الثلاثينيات.

امــا عــن إرادتي في العمــل، في نقــل المشهد ومنحِهِ شــكلاً، فقد ظلــت الحاجة لذلك، كما ظل دمي يجـري وقلبي يخفق. هذه الرغبة في العمــل ظلت شديدة وقوية كما كانــت دائماً كل مصائب السنين، كالمحاكمــات والمِحن. اجتزتهــا منتصراً و لم تفعل ســوى ان اعادتني لطريق العمل ودونما أي فترة للتوقف. على العكس، هذه كلها أضافت لي قوةً ونشاطاً في العين والرسغ.

نعــم مازالت تزورني أفكار مُكَدِّرَه ولن أدير ظهري عن مزعجات جديــدة من تلك التي تصــرّعلى تقديم نفسهــا إلي أو تلك التي تشغل اهتمامي. فهذه هي الطريقــة لتقبّل الحياة كلها. لاحكمة في تجاهلها. الخوف مهما طال، يهرب من بعد ويظل عقلي صافياً وروحي حرّه..

انها "الملَوَن"، باليتة الرسام حيث يمزج الوانه، وحيث يضع المبدع ابهامَه ليسلمَ حتى يكمل مزج ظلال عمله، عملِه الذي لم يولد بعد.

علـى ما بها، كانت سنةً طيبة مُنْتجِـة. لقد انجزتُ فيها عدة اعمال وتعهدتُ ببضعةِ اخرى مهمة.

انتهت السنة. كـم استمتع الان بالاستقـلال، استقلالي انا، لانتج العمـل الـذي اريده لا الـذي تُمليه عليّ نـزواتُ الاخريـن وغوغائيةُ رغباتهـم. لكني لا اريـد ان اتكئَ على امجادي. هـذه السنة، ساعمل بجد اكثر.

حتـى الان لم أُشِـدْ بقيمة ما قدَّمَتْه لي عائلتـي العزيزة، عائلتي التي احـب وابـارك. لكَنهم في قلبي. هـم يمتزجون بروحـي وفني، تلك صِلاتٌ لا تُرى.

فلاشكرهم الان، لاقرّ الان بفضلهم وبامتنانٍ وبفخر!



## ٣١ كانون الأول

تيتوس وهندريكشة وابنتنا المحبوبة ينامون بسلام. وعسى الله أن يحميهم. أنا، حقيقةً، أهتم بهم اكثر مما بنفسي. صديقي الرجل المجنّح غادر توّاً. كان لي حديث طيب معه هذه الليلة. أوضحَ لي لماذا هو يحب الطيران. أي احساس بالحرية يمنحه الطيران واية طاقة. قلت لـه اني حين يطيب الوقت، يمنحني الرسم مثل هذا الشعور. نعم، ليس غالباً ولكن أحياناً. قال لي انه يفهم ما اتحدث عنه قدْرَ ما يفهم منه ملاك. (هو رقيق جداً ومهذب) سألني ألا أحب أنا ايضاً ان يكون لي جناحان مثله لأحلّق في السماوات؟ أحببته الارض كثيرة جداً عليَّ، فلا أستحق بعد هذا جناحين ولا احتاج لهما. وهنا أحسست بأني في حال كهذه يجب أن أعتذر، فقد جرحت مشاعره. أبداً، قال لي. ثم أكمل متحدثاً بالطريقة نفسها التي كنت ارسم فيها صورتي الشخصية (فقد ابتدأت برسم لوحة اخرى). أبدى لي ملاحظة أو اثنتين عن استعمال فرشاة أو سكين لخلفية اللوحة، ثم مضى، بعد قبلة وداع على جبهتي. قبلة يمكن ان أصفها بالاخوية اكثر من كونها احتراما.





## رامبرانت، سيرة موجزة

❖ ١٦٦٩ ولد رامبرانت هارمن زون فان رزن

Rambrandt Harmen Zoon Van Rijn

من أمٍ خبازة وأب طحّان.

❖ ١٦٢٠ كان تلميـذا في المدرسـة اللاتينيـة في جامعـة ليدن. ترك الدراسـة فيها بعـد اكثر من سنة بقليل. يبدو انـه وجد ارتياحاً في الميثولوجيا التي كانت موضوعا للعديد من لوحاته.

❖ ١٦٢٠–١٦٢٤ خـلال هـذه السنـوات كان رامبرانـت ما يزال يعيشـ في ليـدن. التحق تلميـذا بالرسام فـان سوانبورخ (Van Swannenburgh) وهـو رسـامُ مشاهـدِ طبيعيـة، غالباً، متأثر بالفـن الايطالي. انتقل الى امسـتردام ليدرسَ على يد بيتر لاستمان Lastman Pieter واصبـح من بعـد مساعده. لاستمان هذا كان تلميـذا لآدم الشيمـر(Adam Elsheimer) والاخـير الماني متأثر بالايطـالي شياروسكوريسـل(Chiaroscurisls). أثَرُ فن النهضة المتأخـر، وبخاصة فـن كارافاكَيـو Caravaggio وصل من ذلك الوقت اوروبـا الشمالية. يمكن ان يكون رامبرانـت قد تأثر بهذا الفن خلال تدريبه.

❖ ١٦٢٥ عاد الى ليدن، حيث عاش حتى ١٦٣١، ليصبح رساما.

❖ ١٦٢٨ اصبـح جيرارد دو تلميـذاً لرامبرانت ومساعدا له من بعد.

دو رسم باسلوب رامبرانت فكان نتيجة لذلك رساماً ناجحاً

❖ ١٦٣٠ توفي أبوه

❖ ١٦٣١ عاد الى امستردام

❖ ١٦٣٢ محاضـرة في تشريح درليكولاس تولب. أول مجموعة كبيرة يُكَلَّف بها.

❖ ١٦٣٤ تزوج رامبرانت من ساسكيا(Saskia) فان اولنبرغ (Van Uhlenburgh)

❖ ١٦٣٦ رسم اولى لوحاته الطبيعية

❖ ١٦٤٠ توفيت امه

❖ ١٦٤١ توفي ابنه تيتوس Titus

❖ ١٦٤٢ توفيـت ساسكيا. تسلّمَ مبلغاً كبيراً يُقَدَّر بـ ١٦٠٠ جيلدر، مقابل لوحتـه حراسة الليـل (The Night Watch)واصبح كارل فابريتيوس (Carl Fabritius) تلميذا له.

❖ ١٦٤٥ كانـت هندريكشه ستوفلز(Hendrickje Stoffels) مدبرة منزله ومربية تيتوس.

❖ ١٦٤٥-١٩٤٦ تحمـل الكثـير مـن االديـون و لم يتلـقّ إلا بضعه تكليفات خلال هاتين السنتين.

❖ ١٦٥٦ أعلن افلاسه. أُعِدَّت قائمة بعائدياته.

❖ ١٦٥٨ كل ممتلكاتـه، بينهـا داره، أُعلِنـت في المـزاد. واضطُـرَّ للدخـول في اتفاقيـة مالية مـع تيتوس وهندريكشـة، جعلت منه

عاملاً عندهما. لكنه انتج في السنوات التي تلَتْ افضل اعماله.

❖ ١٦٦٢ رسم لوحته

The Guild Clothworkers of the Sendics

(رابطة عمال النسيج)

❖ ١٦٦٤ ماتت هندريكشه.

❖ ١٦٦٨ مات إبنه

❖ ١٦٦٩ مـات رامبرانت في الرابع مـن تشرين الاول مخلفاً كورنيليا طفلته من هندريكشه..

رامبرانــت، لم يكن يؤمن بالخلــود. ربما حضر له كأمر ديني، لكنه لم يصل عنده حد يقينيات الكائن البشري. و لم يكن عنده فاعلاً وموجِّهاً. وهذا كان سـبب اكتئابه. لكنه أيضاً، لم يستطع ابعاده عن حياة الانسان المتفوق فيه.

لهــذا كانت اسـتمراريته متجاوزا ما هو ادنى. هو بقي سـجينَ احلامه الكبيرة وسـجين فنائه وظمئه. جسد متنافر. لذا صار المكان والزمان عنده بُعدين لخلية جســدية. لم يكفّ عن قياس الفرح المر بالاضـطهاد، وكمــا لو ان الحرمان من الابدي لم يكن الا وعياً مؤسفا اكثر بنهايتنا.

مارسيل بريون ١٩٤٦

MARCEL BRION

رامبرانت صور نفسه بوضوح، في الرسم الزيتي وفي النقش على المعادن وفي التخطيطــات، ما يقارب المائة مرة. وفي كل مرة من هذه المرات نتعلم اكثر عن رامبرانــت. إلى حد مــا، حقّقَ رامبرانت متطلبات يونغ وعرض الشخصــية في رســومه كظاهرة متطورة. تقنياً، كانت سمتُه التقدم بحذق متزايد في مضمون اللوحة. تبدو النفس في رسومه تخترق القناع المرسوم وتجعل منه تسجيلا مهتزا لحياة الفنان الداخلية. لكن رامبرانت كان يشـعر بوضـوح ان هذه الدرجة من الكشــف ليســت كافية وان الشخصــية تتحطم تدريجيا تحت ضـغط الواقع و الوجه يفقد نعومته وتناسقه وتماسكه.

هربرت ريد 1955


ISBN 978-2-843090-15-8